رواية



UNBURIED SECRET



إبراهيم عزمي



اسم الكتاب: سر لم يدفن
اسم المؤلف: إبراهيم عزمي
الطبعة الأولى: **2024** م
الإخراج الفني: عبدالعليم مِنا
الغلاف: وحيد محمد
تدقيق لُغوي: آية محمد
رقم الإيداع: **2024-32657**
الترقيم الدولي: **978-977-95-1584-7**



إبراهيم عزمي

مقدمة

في حياة كلٍ منَّا أسرار تظل مدفونة لسنوات، ولكل شخصٍ قصةٌ يُخفيها، ووجهٌ آخر لا يراه أحد، وعندما يحين وقت كشف الحقائق تنقلب الحياة رأسًا على عقب، ومهما ظن الآخرون أنهم قد أزالوا الغموض، سيظل السر الأكبر كامنٌ في مكانٍ آخر لن يتوقعوه أبدًا .

الفصل الأول

اندفع يركض مُسرعًا... لم يجرؤ على الالتفات خلفه، فصوت خطوات مَن يُطارده وصدى أنفاسه دفعاه للأمام بلا توقف رغم الألم الذي كان يشعر به في قدميه المتعبتين... وجد صعوبةً بالغةً في التقاط أنفاسه... غمر العرق وجهه وبحثت عيناه عن أي ملاذٍ آمن.

استمرّ في الركض بلا هَدي، تعثر مراتٍ ونجح مراتٍ أُخرى في القفز فوق العوائق الصغيرة، حتى وجد نفسه فجأةً على حافة الطريق السريع... أعمت الأضواء الساطعة للسيارة القادمة بصره للحظة، وقبل أن يتمكن مِن التراجع سمع بالكاد صوت الفرامل تصرخ قبل أن يشعر بالارتطام العنيف... شعر بجسده يطير في الهواء، فسقط على الأرض بقوة كدُميةٍ قديمةٍ أُلقيت بعيدًا... كانت تلك الأضواء هي آخر ما رأته عيناه قبل أن يغرق في ظلامٍ دامسٍ...

توقفت السيارة التي صدمته، وترجل منها "شريف"... وقف أمام الشخص الملقى على الطريق لثوانٍ محاولًا استيعاب ما حدث، ثم انحنى ببطء نحو الأرض، ووضع إصبعه تحت أُذُن الرجل ليتحسس النبض، لم يكن الأمر صعبًا بالنسبة له بعد سنواتٍ عديدةٍ قضاها كطبيبٍ شرعيٍ ليُدرك أنه قد فارق الحياة، التفت

حوله يمينًا ويسارًا فوجد الشارع خاليًا، فهذا الطريق نادرًا ما يشهد حركة في هذا الوقت... بدأ يُفكر فيما يُمكن أن يفعله، تغيرت ملامحه فجأة فقد بدا أنه اهتدى إلى فكرةٍ قد تُنقذه مِن هذا المأزق، عاد إلى سيارته وبدأ في البحث عن شيءٍ ما.

***

قبل نصف ساعة

أشارت عقارب الساعة إلى اقتراب مُنتصف الليل، وملأ السكون أرجاء المنزل، وقف شريف أمام طاولةٍ صغيرةٍ في غرفته يُضيف آخر الأغراض إلى حقيبته، وقد جهَّزها بعناية لاستئناف عمله بعد غيابٍ طال قرابة الشهر، تسارعت دقات قلبه، واختلطت مشاعره بين السعادة والتوجس، فعودته إلى العمل هي مواجهة مؤجلة مع جزءٍ مِن ماضيه حاول جاهداً تجنبه.

مرر يده على الحقيبة متأملاً تفاصيلها، تسللت إلى ذهنه ذكريات مِن قضايا سابقة: كل جريمة، كل ضحية، كل تحقيق... تردد للحظةٍ كأن هناك شيئًا ما يثنيه عن العودة، ولكنه يعلم في قرارة نفسه أن هذه المواجهة حتمية.

وضع حقيبته جانبًا بعدما انتهى مِن جمع أغراضه، وبينما كان يهُم بالرحيل سمع صوت خطواتٍ خفيفةٍ مِن خلفه، التفت ليرى أخوه "شادي" يقف مُبتسمًا عند باب الغرفة، وتحمل نظراته براءة الأطفال.

ابتسم شريف وتحدث قائلًا:

- أنت لسه صاحي لحد دلوقتي، حقك يا سيدي خدنا الأجازة يا عم.

اقترب شادي بخطواتٍ هادئةٍ، ثم تحدث:

- أنا فرحان انك هترجع لشغلك تاني.

أومأ شريف برأسه وقال:

- كله نصحني أعمل كده، وأنا الصراحة زهقت مِن قعدة البيت.

قطع حديثهما رنين هاتف شريف، فتناول الهاتف بسرعة وأجاب على المتصل مؤكدًا أنه يستعد للخروج مِن المنزل في الحال، أغلق المكالمة، ثم التفت نحو "شادي" ليودِّعْهُ.

تَوَجَّه للخروج، لكن توقفت قدميه للحظة أمام الباب، شعر بصوتٍ خافتٍ يهمس له بالبقاء مُحذرًا إياه بأن الليلة قد تحمل له شيئًا مجهولًا، هز رأسه بسرعة ليطرد تلك الفكرة، ثم أغلق الباب خلفه وانصرف.

استقل سيارته وأدار المحرك ليبدأ رحلته، وأثناء القيادة لاحظ ازدحامًا غير مألوف في الطريق بالرغم مِن أن الوقت كان متأخرًا، رن هاتفه فأجابه فورًا، وأخبر الشخص على الطرف الآخر أنه غادر للتو لكنه عالق في زحامٍ بالطريق.

ترجل "شريف" مِن سيارته بعدما أغلق الهاتف، وتقدم إلى الأمام ليتفقد سبب تعطل حركة المرور، اقترب مِن مجموعة مِن المارة

وسأل عن السبب، فأجابه أحدهم بأن هناك سيارة تعطلت وأغلقت الطريق تمامًا.

عاد إلى سيارته وطلب مِن السيارة التي خلفه أن تتراجع قليلًا ليتمكن مِن تغيير اتجاهه ليتفادى الازدحام، استجاب له سائق السيارة وأفسح له الطريق، انعطف قليلًا ليسلك طريقًا آخر هادئًا، سمع صوت إشعارًا ينبعث مِن هاتفه، فأخرجه سريعًا مِن جيبه ليجدها رسالة صوتية مِن والده:

"هتتأخر ولا ايه يا شريف؟ أنا مستنيك"

بحث عن رقم والده ليتصل به، وأثناء انشغاله بالهاتف لم ينتبه للشخص الذي قفز فجأة أمام سيارته، حاول بكل قوةٍ كبح فرامل السيارة، ولكن دون جدوى، انتابته حالة مِن الخوف والذعر بينما سقط الأخير أرضًا بعد الاصطدام.

الفصل الثاني

عاد شريف إلى منزله بجسده فقط، أما عقله فما زال عالقًا في أحداث هذه الليلة... دخل إلى شقته وأغلق الباب خلفه بقوة، ألقى مفاتيحه على الطاولة وارتمى بجسده على الأريكة محاولًا الهروب من المشهد الذي يتكرر أمامه كفيلم رعبٍ لا نهاية له: وجه الرجل الذي صدمه، الصوت المروع لارتطام الجسد بالسيارة، الحفرة التي حفرها بيدين مرتعشتين تحت ضوء القمر الساطع، كل تلك التفاصيل ستظل محفورة في ذاكرته إلى الأبد... مَزِق قلبه شعورٌ بالذنب مع صوتٍ بداخله يحاول تبرير ما فعله... (كان لازم أعمل كدة، مكنش قدامي حل تاني) قالها لنفسه بصوتٍ غير مسموع وهو يحدق للسقف.

كان جسده منهكًا؛ لكنه لم يستطع النوم... تحرك إلى المطبخ باحثًا عن شيءٍ يشربه، ربما كوبٌ من الماء يُمَكِّنهُ مِن تهدئة أعصابه المتوترة، شرب الماء ببطءٍ؛ محاولاً استجماع شتات نفسه... نظر إلى الساعة التي كانت تُشير إلى الثالثة صباحًا، كل دقيقة تمر عليه كأنها ساعة، وكل ساعة كأنها دهر... عاد إلى الأريكة في النهاية مُستسلمًا للإرهاق فقد غلبه النوم بعد محاولاتٍ عديدةٍ يائسة.

***

استيقظ "شريف" مفزوعًا على صوت رنين هاتفه، التقط الهاتف بسرعة ليرى مَن المتصل، رأى اسم مساعده "سعيد" على الشاشة... رد بصوتٍ يَملؤه التعب، علم مِنه سعيد أنه ما زال نائمًا، تعجب سعيد لذلك لأنه يعلم مدى الحماس الذي كان يُراود شريف للعودة إلى عمله، فسأله عن سبب تأخره، نظر شريف إلى عقارب الساعة والتي كانت تُشير إلى الثامنة صباحًا، فأخبره أنه نام متأخرًا وسيكون متواجدًا قريبًا.

أغلق الهاتف وتذكر أحداث ليلة الأمس التي ما زالت تُطارده، فتنفس بصعوبةٍ محاولًا استعادة هدوئه، ونهض مِن الأريكة متوجهًا للحمام، نظر إلى وجهه في المرآة فوجد شحوبًا وإرهاقًا يغزوان ملامحه، قال بصوتٍ عالٍ كمن يُذكِّر نفسه (لازم أتصرف عادي جدا كأن مفيش أي حاجة حصلت.)

تَوَجَّه لغرفة شادي للاطمئنان عليه، ثم ارتدى ملابسه على عجلةٍ، وخرج مِن المنزل محاولاً أن يظهر بمظهرٍ طبيعي، بدا الطريق للعمل أطول مِن المعتاد؛ فقد كانت تفاصيل الشوارع تُذكره بما حدث ليلة أمس، وصل أخيرًا إلى المشرحة ليباشر عمله بعد فترة غياب حيث كان مساعده في انتظاره.

" أنت كويس يا دكتور؟" قالها سعيد بقلق، فابتسم شريف ابتسامةٍ متكلفة قائلاً :

- متقلقش يا سعيد أنا بس منمتش كويس.

لكنه يعلم في قرارة نفسه أنه ليس على ما يُرام بالفعل، فهو يُدرك أن هذا اليوم لن يكون كباقي الأيام، وأن سره الدفين سيظل يُلاحقه جاعلاً كل لحظة تمر كابوسًا جديدًا؛ فالكوابيس لا تأتي ليلًا فقط.

دخل شريف مكتبه يتبعه مساعده، استفسر شريف مِن سعيد عن أحداث الفترة السابقة التي غاب فيها، فأخبره سعيد أنه لا يوجد جديد في قضية القاتل المتسلسل التي كان يعمل عليها شريف قبل انقطاعه عن العمل، وأنه لم تظهر أي ضحايا جديدة لذلك القاتل، تعجب شريف مما سمعه وقرر الاتصال بالرائد كرم لمتابعة آخر التطورات.

***

كان الجو يشوبه التوتر في مديرية الأمن حين دخل المقدم عماد مكتبه مُسرعًا ووجهه يحمل غضبًا مكتومًا، ألقى بالملف الذي كان يحمله، وضرب بيده على المكتب بعنفٍ فأصدر صوتًا مرتفعًا جعل الرائد كرم يُنهي مكالمته سريعًا؛ لينظر إليه بفضولٍ يصاحبه قلق فهو يعلم بأنه كان يُلبي استدعاء اللواء أيمن له، سأل كرم عمَّا حدث محاولًا فك شفرة تعابير عماد الغاضبة.

جلس عماد على الكرسي وزفر للتحرر مِن الغضب المكبوت بداخله، وأخبر كرم بقرار اللواء بانضمام محقق للعمل معهم على قضية القاتل المتسلسل؛ لأنه يعتقد أنهم لا يحرزون تقدمًا كافيًا في الفترة الأخيرة.

سيطرت حالة مِن الغضب والاحباط على عماد، بدا ذلك واضحًا مِن خلال كلماته، ولم يكن كرم بحاجةٍ لمزيدٍ مِن التوضيح ليعلم أن هذا القرار أثار حفيظة عماد بشكلٍ كبير، حاول كرم التخفيف عنه وإقناعه أن وجود شخصٍ آخرٍ معهم ربما يكون مفيدًا، وسيساعدهم للوصول إلى نتائج أسرع.

نظر عماد إلى كرم بعينين تشتعلان بالاستياء؛ فهو يرى أنه ليس في حاجةٍ إلى مَن يُخبره كيف يقوم بعمله، فهو يبذل قصارى جهده، ويجب أن يُدرك اللواء ذلك.

لم تنجح كلمات كرم في تهدئة عماد؛ فكرم يعرف جيدًا أن عماد لا يهدأ بسهولة حينما يتعلق الأمر بمثل هذه المواضيع... تحدث كرم ليصرف انتباه عماد لموضوعٍ آخر:

-أنت عارف مين كان معايا على التليفون، وقولتله يجي دلوقتي يسلم علينا.

تذكر عماد أنه بسبب غضبه أجبر كرم على إغلاق الهاتف بالفعل، لكنه ظل صامتًا، فأكمل كرم حديثه قائلاً:

-شريف.

بعدما سمع عماد الاسم، قرر أن يتأكد أنه فهم الشخص الصحيح:

- شريف مين؟ شريف زهران!

أومأ كرم رأسه بالإيجاب، وأجاب:

-أيوه بالظبط، عرفت انه رجع المشرحة النهاردة أول يوم، اهو ده اللي حصل فيه بسبب القضية دي يهون عليك اللي أنت فيه دلوقتي.

رن هاتف المكتب قبل أن يرد عماد الذي أمسك بالسماعة وأجاب بنبرةٍ رسميةٍ، تغيرت ملامح وجهه للجدية، ورد بكلماتٍ متلاحقةٍ "أيوة.... بتقول ايه؟ جثة جديدة؟... فين؟"

أغلق الخط، ونظر إلى كرم بجديةٍ، وكأن هذا الاتصال أعاد له بعض التركيز والانضباط مُبلغًا إياه بأن هناك جثة جديدة، ويجب عليهم التحرك فورًا.

خرج الاثنان مِن المكتب بخطواتٍ سريعة، وكلٌ منهما غارقٌ في أفكاره، فعماد يشعر بالتحدي لإثبات قدرته على حل اللغز دون مساعدة مِن أحد، بينما كرم يحاول أن يحافظ على هدوئه استعدادًا لما سيواجهونه في مكان الجريمة.

رن هاتف كرم في الطريق فوجده "شريف"، رد وأخبره بأنهم توجهوا لمكانٍ تم العثور به على جثة جديدة، أرسل له الموقع وطلب مِنه الحضور .

وصلوا إلى الموقع وكان المشهد فوضويًا؛ أغلقت الشرطة المنطقة بشريط أصفر، وتجمع الفضوليون على بُعدٍ يتهامسون ويُشيرون نحو الجثة المغطاة بالقماش، تقدم عماد نحو الجثة، وسأل أحد الضباط عمَّا حدث، أجابه الضابط بأنه جاءهم اتصالٌ مِن فاعل خير يُبلغ عن وجود جثةٍ في هذه المنطقة، تحركوا فورًا وعندما وصلوا وجدوا الجثة في مكانها هذا دون أي علاماتٍ واضحةٍ تدل على هوية الشخص أو أي أدلةٍ تُشير إلى ما حدث.

عاد عماد إلى كرم، وكان شريف قد وصل للتو، تبادلوا التحية سريعًا وأخبرهم عماد بما رأى وسمع مِن الضابط، وطلب مِن شريف أن يفحص الجثة ويُعطيه رأيًا مبدأيًا.

تقدم شريف الذي كان يُحاول أن يبدو هادئًا ومتماسكًا، كانت عيناه تتفحصان المكان بعنايةٍ، بدأ يقترب مِن الجثة وهو يشعر بتوترٍ غريب، كأن شيئًا سيئًا على وشك الحدوث، عندما كشف الغطاء، تجمد في مكانه وشعر بقلبه ينبض بقوةٍ، وسؤالٌ واحدٌ يُلح عليه: كيف حدث هذا؟!

فقد كانت الجثة للشخص الذي صدمه ودفنه بنفسه!!

الفصل الثالث

لاحظ "المقدم عماد" تغير ملامح "شريف"، تأمله للحظاتٍ ثم سأله بقلق عمَّا أصابه ليتأكد أن كل شيءٍ على ما يُرام، أخذ "شريف" نفسًا عميقًا في محاولةٍ مِنه للسيطرة على أعصابه التي كادت أن تنهار، ثم حاول أن يُطمئن عماد بابتسامةٍ مصطنعة...

بدأ "عماد" بطرح بعض الأسئلة حول الجثة متوقعًا مِن شريف إجاباتٍ دقيقةٍ ومهنية، لكن "شريف" لم يكن حاضرًا، حاول مرارًا وتكرارًا التركيز مع كلمات عماد لكن باءت كل محاولاته بالفشل...

لاحظ "الرائد كرم" التوتر المسيطر على شريف وشرود ذهنه... انضم إلى الحديث وحاول جذب انتباه شريف؛ نادى عليه بصوتٍ عالٍ وبه شيءٌ مِن الحدة: شريف... شريف، بدأ الصوت يتردد في أُذني شريف، شعر أنه يسمعه مِن مسافةٍ بعيدة، انتبه شريف للصوت وأفاق مِن غفلته على صوت "كرم"... نظر إليه محاولًا إخفاء ارتباكه، لكنه لم ينجح في ذلك، فقد أحس "كرم" أن شيئًا ما يُزعج "شريف"، لكنه لم يُرِد أن يزيد مِن توتره، فقرر أن يخفف عنه ببعض المزاح قائلاً:

- أنت نسيت الطب الشرعي ولا ايه يا دكتور؟!

جاءت كلمات كرم كطوقِ نجاةٍ انتشل شريف مما هو فيه، فأخذ نفسًا عميقًا آخر محاولاً تهدئة رَوْعِهِ، وجَمْع شتات نفسه، والتركيز على المهمة التي أمامه... أدرك أنه مِن الضروري تجاوز مخاوفه ومواجهة الحقيقة مهما كانت قاسية، بدأ يستعيد توازنه ببطءٍ وبدأ يفحص الجثة كأي جثة فحصها مِن قبل، وركز على أسئلة عماد له، محاولًا أن يتجاهل تلك الأفكار التي راودته منذُ قليل...

بعدما أنهى "شريف" حواره مع عماد قرر مُغادرة مكان الحادث، ركب سيارته للعودة إلى منزله هاربًا مِن تلك الأفكار والشكوك التي جعلت عقله مشوشًا، ولكن ظلت صورة الجثة التي دفنها بيديه نُصب عينيه لم تُفارقه لحظة... كيف دفنها وكيف هي موجودة الآن في مكان آخر؟! هل رآه أحد وهو يدفنها ثم نقلها ليتلاعب بأعصابه؟! حاول بلا جدوى أن يفهم ما يحدث، ولكن كلما حاول زادت حيرته.

رن هاتفه عندما وصل إلى المنزل، فوجد المتصل مساعده "سعيد" الذي استفسر مِنه عن سبب عدم عودته للمشرحة، أخبره "شريف" أنه شعر ببعض الإرهاق فعاد إلى المنزل للراحة، لكنه سيعود للمشرحة ليلًا... أخبره أيضًا عن الجثة التي رآها اليوم وطلب مِنه أن يتصل به عند وصولها للتشريح...

أغلق الهاتف ووضعه جانبه على الطاولة واستلقى على الأريكة، آملاً في الحصول على قسطٍ مِن الراحة، رن هاتفه مرة أخرى بعد بضع دقائق، نظر إلى الهاتف فوجدها شقيقته "شيماء"... أجاب على الفور محاولاً كتم التعب في صوته، أخبرته أن والده قلقٌ عليه لأنه

انتظره بالأمس، وحاول الاتصال به كثيرًا لفهم سبب عدم حضوره لكنه لم يُجِب على اتصالاته مما زاد مِن قلقه... شعر حينها "شريف" بالذنب وأخبرها بأنه سيتصل بوالده ليُطمئنه عليه ووعدها بالحضور الليلة إلى منزل والده... أغلق الهاتف مع "شيماء" ثم اتصل بوالده لكنه لم يتلقى إجابة، فأرسل له رسالة سريعة يعتذر فيها عن عدم حضوره بالأمس كتب فيها: (آسف، كنت مُتعب جدًا، سأراك الليلة)

ترك الهاتف واستلقى مرة أخرى، دخل في نومٍ عميق في محاولةٍ مِنه للهروب مِن الواقع.

***

استيقظ شريف على صوت رنين هاتفه فوجد مساعده يخبره بوصول الجثة إلى المشرحة، أغلق الهاتف بيدٍ مرتعشة وشعر بأن القلق عاد يتسلل إلى قلبه، حاول أن يُسيطر عليه فاندفع يرتدي ملابسه مُسرعًا... خرج مِن المنزل مُتوترًا وركب سيارته وقبل أن يُدير محركها فكر في تلك الجثة التي تنتظره في المشرحة حيث ينتظر مِنه الجميع الإجابة على الكثير مِن الاستفسارات، قرر عدم الاستسلام للخوف والارتباك وحاول السيطرة على نفسه...

وصل إلى المشرحة بعد أن هيأ نفسه لمواجهة الموقف، عندما دخل الغرفة وجد مساعده "سعيد" مُنهمكًا في تحضير الأدوات اللازمة، ارتدى "شريف" قفازاتٍ، وبدأ الفحص مُتناولاً كل التفاصيل بدقة، بينما يسجل سعيد الملاحظات بتركيز.

قطع تركيزهم صوت عامل المشرحة يُبلغ دكتور شريف أن المدير يستدعيه، تنهد شريف قليلًا وشعر بأن هناك أمرًا طارئًا، فأشار لسعيد أن يُكمل الفحص حتى يعود.

تَوَجَّه شريف نحو مكتب المدير وهو مشغول البال، يفكر في الجثة التي يفحصها، ويُلح عليه سؤال تبادر إلى ذهنه: ما السبب وراء هذا الاستدعاء المفاجئ؟ وهل له علاقة بتلك الجثة؟

وصل إلى الباب وأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يطرقه بلطفٍ، سمع صوت المدير مِن الداخل يدعوه للدخول... فتح "شريف" الباب ودخل المكتب، فوجدَ المدير جالسًا خلف مكتبه ينظر إليه بابتسامة، ودعاه للجلوس.

جلس شريف على الكرسي المقابل له وهو في حالة مِن الترقب... بدأ المدير حديثه مشيرًا إلى أن عودة شريف إلى العمل بعد انقطاع دام لمدة شهر ليس بالأمر السهل، وأكد أنه ينتظر مِنه المزيد مِن النجاح في عمله فهو يثق جيدًا في قدراته، وأنه في يومه الأول بعد العودة أُسندت إليه قضية ليست باليسيرة وذلك لأنه يعرف مهاراته، شعر "شريف" بالتقدير مؤكدًا أنه عاد مرة أخرى ليُثبت أنه قادر على المواجهة والتحدي.

استمر المدير في حديثه، لكن "شريف" لم يكن معه، فقد غاص في ذكرياته قبل شهرين...



قبل شهرين

نظر شريف إلى الجثة أمامه، وأخذ يفكر في السر الذي قد يكون وراء القتل... ينتظر الجميع تقريره بفارغ الصبر فتلك هي الضحية الثالثة التي يتم قتلها بنفس المادة السامة في فترةٍ قصيرة... شعر شريف بالمسؤولية، فحل هذا اللغز قد يكون المفتاح لإنهاء سلسلة الجرائم المستمرة .

بدأ شريف يتفحص الجثة بتمعن باحثًا عن أي دليل قد يُساعده في حل هذا اللغز، أحضر العدسة المكبرة وبدأ يفحص الجثة بدقة أكبر، حتى وجد آثار بصمات قد تكون للقاتل...

أبلغ "شريف" بحماس مساعده سعيد الذي أشار عليه الاتصال بالمقدم "عماد" ليخبره بما توصل إليه وبالفعل قام شريف بالاتصال به مُبلغًا إياه أنهم وجدوا نفس المادة السامة ولكن هذه المرة يُوجد آثار لبصمات تم إرسالها للتحليل بالمعمل الجنائي...

بعد ظهور نتيجة تحليل البصمات عادت خيبة الأمل له مرة أخرى فلم تُطابق البصمات أي مِن تلك الموجودة بالسجلات الجنائية...

عاد شريف مِن بحر الذكريات الذي غرق فيه على صوت مُديره الذي أكد عليه أنه ينتظر مِنه المزيد مِن الجهد الفترة القادمة، بدأ يشعر بالثقة تعود إليه، وعد مديره بأنه سيبذل قصارى جهده لإثبات مكانته مرة أُخرى.

عاد شريف إلى غرفة الفحص عاقدًا العزم على تقديم أفضل ما لديه، بدأ يحصر تفكيره في سر تلك الجثة الغامضة التي تنتظره متجاهلاً أي خوف أو قلق يُحاول التسلل إليه.

في نفس التوقيت...

جلس المقدم "عماد" في مكتبه مُحاطًا بأوراق القضايا المتراكمة أمامه... سيطرت عليه حالة مِن التركيز وهو يبحث في تلك الأوراق عن خيطٍ يقوده للحقيقة... رن هاتفه فأخرجه مِن أفكاره، نظر إلى الشاشة فوجد أن المتصل مِن المعمل الجنائي، رد عماد ليعلم أنه تمت مُطابقة بصمات الجثة التي تم العثور عليها صباح اليوم مع قاعدة البيانات وتوصلوا إلى نتيجة مذهلة حيث أن البصمات تتطابق مع بصمات القاتل الذي ظلوا يبحثون عنه لمدة شهرين !

***

بعد أن عاد شريف إلى غرفة الفحص لاستكمال عمله وجد مساعده سعيد مُنغمسًا في فحص تفاصيل الجثة، ولكن ما لفت انتباهه أكثر ملامح "سعيد"؛ تلك النظرة الجادة التي تعلو وجهه والتي تعكس اكتشافًا مهمًا...

اقترب شريف مِنه ليفهم سر تلك النظرة، لم يستطع كبح فضوله؛ فسأله عمّا وصل إليه... رفع سعيد رأسه ببطءٍ ولمعت عيناه، بدا أنه انتظر هذه اللحظة ليخبر شريف بما اكتشفه؛ فأجابه بأن الجثة تحوي نفس السم مما يعني أن هذه هي الضحية الجديدة للقاتل المتسلسل!

الفصل الرابع

حاول شريف أن يستوعب ما سمعه للتو مِن سعيد، وراودته الكثير مِن الأسئلة: مَن يُمكن أن يكون هذا الشخص؟، هل هو ضحية جديدة أم مُجرد قطعة في لعبةٍ أكبر؟

بدأ شريف يُفكر في الأمر مليًا، وأدرك أنه حتى لو لم يصدمه بسيارته، لمات الرجل في كل الأحوال لأنه قد تناول السم بالفعل، خفف هذا مِن وطأة الذنب الذي لازمه.

راقب سعيد نظرات شريف بحذر؛ فقد علم أن هذا الاكتشاف يؤكد على أن القاتل نفسه قد عاد ليضرب مِن جديد بنفس السم الذي استخدمه قبل شهرين في جرائم مشابهة لم تُحَل بعد، التقت عيناه بعيني شريف، وكلاهما يعلمان أن هذه المعلومة يُمكن أن تقلب موازين التحقيق تمامًا.

رن هاتف شريف، وظهر على الشاشة اسم "المقدم عماد"، رد شريف، فسمع صوت المقدم عماد يُخبره بحماس بأن بصمات الجثة تطابقت مع البصمات التي وُجدت منذ شهرين، مما يُعزز احتمال أن يكون هذا الشخص هو القاتل!

تجمد "شريف" للحظةٍ، محاولًا استيعاب المعلومة، فقد أدرك أن الأمور أصبحت أكثر تعقيدًا مما تخيل، أخذ يسأل نفسه هل هذا يعني أنه قد صدم القاتل الذي لم يتمكنوا مِن القبض عليه سابقًا؟!

تفاجأ "المقدم عماد" بوجود السم في الجثة بعدما أخبره شريف، وبدا صوته مشوشًا وهو يتساءل بقلقٍ، كيف يُمكن أن يكون القاتل مات بنفس السم الذي استخدمه؟

***

اقترب "سعيد" مِن شريف، ووقف أمامه محاولًا لفت انتباهه ولكن "شريف" لم يكن حاضرًا إلا بجسده فقط، بدأ "سعيد" بالحديث وطلب مِن "شريف" أن يسمح له بالانصراف مبكرًا لأن لديه موعدٌ هام لا يُمكنه تأجيله.

رفع شريف رأسه ببطء، واستغرق بضع لحظات قبل أن يستوعب طلب سعيد، ثم أومأ برأسه مُعلنًا الموافقة، وأشار بيده لسعيد بالإذن.

بعدما انصرف سعيد، شعر شريف بالتعب فقد كان اليوم مُرهِقًا ومليئًا بالأحداث، خرج مِن المشرحة وبحث عن سيارته، رن هاتفه فجأة، أخرج الهاتف مِن جيبه ورأى اسم "شيماء" شقيقته يظهر على الشاشة، أجاب عن المكالمة، فأبلغته أنها وصلت عند منزل العائلة وأكدت عليه ضرورة الحضور الليلة لسببٍ هام وطلبت منه ألا يتأخر، حاول منها معرفة سبب الاصرار على الحضور لكن المكالمة انتهت دون تقديم أي تفاصيل بعد أن أجابها بأنه سيتحرك الان.

استقل شريف سيارته نحو منزل والده، وكل ما يشغل ذهنه هو سبب هذا الاستعجال الغامض، وصل أخيرًا إلى المنزل، لكن شيئًا ما لم يكن على ما يُرام، عندما ترجل مِن السيارة، لفت انتباهه ضوءٌ خافتٌ في الشرفة، و رأى شخصًا يقف هناك، حاول شريف تركيز بصره، لكن اختفى الشخص فجأة وأظلمت الغرفة.

دلف شريف إلى العمارة مُسرعًا، وانطلق كالسهم يصعد الدرج، ازداد شعوره بالتوتر بعدما وصل أمام باب الشقة المفتوح على مصراعيه، تَوَجَّه نحوه ودخل بحذر، شعر أن الجو هادئًا بشكل غير طبيعي. تحرك شريف ببطء داخل الشقة، محاولًا عدم إصدار أي صوت، زادت كل خطوةٍ مِن شعوره بالتوتر، اقترب مِن غرفة المعيشة، وعندما دفع الباب بيده، أضاء النور فجأة!

تجمد في مكانه، اتسعت عيناه مِن الدهشة، إذ وجد والده وشيماء وبعض الأصدقاء مجتمعين حول طاولة مُزينة، ابتسموا له وقالوا بصوتٍ واحد: "مفاجأة "!

فقد أعدوا له حفلًا صغيرًا بمناسبة عودته للعمل، هدأ "شريف" قليلًا بعدما استوعب سبب إصرار شيماء على حضوره، وسبب ترك سعيد العمل مبكرًا على غير العادة، جلس يستريح بعد المجهود الذي بذله أثناء صعود الدرج.

نظر شريف حوله مُتفحصًا الحضور، محاولًا معرفة مَن دعاهم، لاحظ شيماء التي بدورها غمزت له بعينها، أدرك مِنها أنها هي مَن جهزت هذا الحفل ودعت كل القريبين مِنه، مال إليها هامسًا وسألها كيف تمكنت مِن الوصول إليهم جميعًا؟

ابتسمت شيماء وأبلغته بأنها تحدثت إلى محسن زوجها، فاقترح التواصل مع سعيد مساعده الذي بدوره تواصل مع زملائه في العمل وأبلغهم عن الحفل، فتعجب "شريف" لعدم حضور محسن وهو صاحب الاقتراح، لكنها أوضحت له أنه شعر ببعض الإرهاق فلم يستطع الحضور.

تَوَجَّه شريف نحو سعيد وسأله عن سبب عدم إخباره عن الحفل؟ فلقد استأذن مِنه للانصراف من المشرحة قبل قليل، ابتسم سعيد وأبلغه بأن شيماء اتصلت به وطلبت مِنه ذلك لأنها تُعد له مفاجأة .

انتقل شريف للحديث مع كرم، الذي أخبره بأن المقدم عماد اعتزم الحضور، لكنه لم يستطع ترك العمل، وأرسل هديته معه.

رفع شريف رأسه عندما سمع صوتًا مألوفًا يُناديه، التفت ليجده "الدكتور رامي" وعلى وجهه ابتسامةٌ، فبينهما صداقة قوية منذ أيام الجامعة، مدّ رامي يده ليصافحه بحرارة وسأله عن أحواله، وعن أحوال أخيه ولماذا لم يحضر اليوم؟، تنهد شريف وأجابه أنه لم يكُن يعرف بموضوع الحفل لذا لم يُحضر شادي معه.

تمتم رامي بكلمات غير مسموعةٍ، ثم صمت قليلاً قبل أن يسأله:

-طب وسيد محضرش ليه؟

رد شريف بعصبية:

-سيد مش أخويا.

رفع رامي حاجبيه وأبلغه أنه يعلم ذلك، فهو إبن زوجة والده، لكن يجب عليه ألا ينسي أنهم عائلة واحدة، و يجب أن يعامله كأخ.

أطلق شريف ضحكةً خفيفة، تملؤها مرارة، ثم رد:

-صدقني حاولت يا رامي، لكن هو مش مساعدني.

سأله رامي بحذر:

- هو ده بسبب رفضك جوازه مِن شيماء؟

أومأ شريف برأسه، ثم قال بنبرةٍ حزينةٍ:

- بالظبط، هو كان عايش على أمل إني اتراجع وأوافق، بس لما شيماء اتجوزت محسن، فقد الأمل والعلاقة بقت أسوء مِن الأول.

ربت "رامي"على كتف "شريف" بمحبةٍ قائلًا له أنه ربما تتحسن الأمور مع مرور الوقت، نظر شريف إلى رامي بابتسامة باهتة، وتمنى حدوث ذلك قريبًا .

وَقف جارهم "أنور" على خطواتٍ ليست ببعيدة يتفحص الحاضرين بفضوله المعتاد، فالمؤكد أنه حضر مِن تلقاء نفسه...

سمع أنور بالفعل صوتًا عاليًا قبل قليل، نزل بطبيعته الفضولية ليكتشف ما يحدث واعتبر نفسه مدعوًا للحفل...

على الرغم مِن أن الشعور بالقلق ما زال يُسيطر على "شريف"، لكنه شعر ببعض الراحة بين جدران المنزل الذي تربى فيه، تبادل الحديث مع الحضور، محاولاً نسيان ما حدث معه ولو للحظاتٍ قليلة.

أحضر الجميع كعكةً للاحتفال وهدايا لشريف تم وضعها جنبًا إلى جنب في ركنٍ مِن الغرفة، تعالت الضحكات في أرجاء الغرفة، جلس الجميع يتناولون الطعام ويتحدثون عن الذكريات والأيام القديمة، مما جعل شريف يشعر ببعض الراحة والدفء.

بعد أن انتهى الاحتفال وانصرف الأصدقاء، جلس شريف مع والده لبعض الوقت، تبادلا الحديث عن الحياة والعمل. فوالده مصدر دعم له دائمًا، وشعورٍ بالأمان والسند.

عندما استعد للانصراف، رن هاتفه، نظر إلى الشاشة ورأى رقمًا غير معروف، تردد قليلاً، ثم قرر الرد، جاء صوتٌ غامضٌ مِن الطرف الآخر:

- أتمنى الهدية تكون عجبتك.

تجمد شريف في مكانه، ورد بارتباك:

- انت مين؟ وهدية إيه؟

أجاب الشخص الغامض:

- يبقي شكلك لسة مشوفتهاش، شوفها وأوعدك انها هتعجبك.

أغلق المتصل الخط فورًا، دون إجابةٍ واضحة، تاركًا شريف في حالةٍ مِن الارتباك والقلق، بدأ يفتش حوله بقلق في الهدايا حتى وجد علبةً صغيرةً على الطاولة بجانب الباب، فتحها ببطء، فوجد بداخلها فلاش ميموري وورقة مدَّون عليها "سرك لم يُدفن."

شعر شريف بأن قلبه ينبض بسرعة، ويداه ترتجفان، أسرع إلى غرفته التي عاش بها مع والده، وأغلق الباب خلفه بعناية جلس أمام جهاز الكمبيوتر، وأدخل الفلاش ميموري وبدأ تشغيل الفيديو، رأى نفسه وهو يدفن الجثة في الليلة السابقة!

صُدم شريف وبدأ يسأل نفسه: كيف حدث هذا؟ وكيف تم تصوير هذا الفيديو؟ ومَن يكون ذلك الشخص؟ وما الذي يريده مِنه؟

بدأت تتلاحق الأسئلة في ذهنه دون أي إجابة واضحة.

الفصل الخامس

بدأ "شريف" في استرجاع ما حدث، محاولاً معرفة مَن الذي أحضر هذه العلبة، تذكر أنه وجد الباب مفتوحًا على مصراعيه عندما وصل؛ مما يعني إحتمالية أن هناك مَن دخل وخرج دون أن يلحظه أحد، وبينما حاول مراجعة أحداث الحفل في ذهنه، تسللت إلى عقله ذكرياتٍ قديمة لم يستطع تجاهُلها.

عاد بذاكرته إلى أكثر مِن ستة أشهرٍ مضت... إلى ذلك الحفل الذي أُقيم للاحتفال بشقيقه "شادي"، تشابهت الأجواء... نفس الفرح الذي ملأ المكان، نفس الابتسامات والضحكات التي خيَّمت على الوجوه، لكن لم تكن النهاية سعيدة كما هو الحال الآن، أصبحت تلك الليلة نقطة تحول في حياته.

استسلم "شريف" لذكرياته، مستعيدًا كل تفصيلةٍ في ذلك الحفل، حاول عقله الربط بين الماضي والحاضر، باحثًا عن إجابةٍ كانت دائمًا هناك... مختبئة في ذكريات الماضي.

قبل ستة أشهر...

تجمعت عائلة "شريف" وتعالت أصوات الضحكات في كل زاوية، احتفالًا بفوز "شادي" في بطولة الجمهورية للسباحة،

شعر "شريف" بغربةٍ ووحدةٍ رغم هذا الضجيج المبهج، عاش في عالمٍ منفصل تماماً عما يدور حوله، نظر إلى زوجة أبيه التي احتضنت ابنها شادي بفخر، وبداخله نفس النفور الذي يشعر به كلما رآها أو اقترب منها، لم تكن بينهما أي مشاعر دافئة، فقط تلك الكراهية المتبادلة، الحسنة الوحيدة التي رآها فيها أنها أنجبت لهم "شادي" أخيه، فهو يحبه كثيرًا.

أما "شيماء" وقفت كعادتها على مسافةٍ واحدةٍ مِن الجميع، لا تُفرِّق بين "شريف "أخيها مِن أمها وأبيها، وبين "شادي" أخيها مِن أبيها فقط، وحتى "سيد" ابن زوجة أبيها تُعامله كأخٍ ثالث، في محاولةٍ منها أن تجمع شمل العائلة... أدركت رغم ذلك أن العلاقات العائلية مُعقدة أكثر مما يبدو، خاصة بالنسبة لزوجة أبيها وابنها سيد، فقد لاحظت التوتر في عيني "شريف" كلما اقتربوا مِنه، وظهر التوتر نفسه بوضوح على وجه "سيد" الذي لم يكن يُخفي كراهيته لشريف.

أما "شادي"، فقد كان ينظر لشريف بطريقةٍ مختلفةٍ تماماً... فشريف هو الأخ الأكبر الذي يعشقه ويثق به، لم يكن يكترث بالصراعات العائلية؛ رأى في شريف مثالاً يُحتذى به، الشخص الذي يلجأ إليه في كل مشاكله... قضى العديد مِن الليالي في منزله، بعيدًا عن التوترات العائلية...

راقب الأب كل شيءٍ بصمت، شعر بعبءٍ كبيرٍ، فقد رأى التوتر يزيد بين "شريف" وبين زوجته وابنها، لكنه لم يعرف كيف يُعيد الوئام بينهم؟

وكيف يُصلِح علاقته هو بشريف، ويُعيدها كما كانت، بعد أن أصابها شرخٌ بسبب زواجه مِن "ناريمان"، السر الذي يُخفيه عن والدة شريف حتى لا تتأذى، فقلْبها المريض لا يحتمل أي أخبار سيئة... بالرغم مِن كل تلك المشاعر المتضاربة في نفوس الحاضرين، اجتمعوا اليوم على مشاعر الفرحة والفخر بشادي، قطع رنين الهاتف أجواء الحفل الصاخبة... رد الأب على المكالمة فوجدها الممرضة المُلازمة لوالدة شريف، تغيرت ملامح وجهه فجأة بشكلٍ ملحوظ، أغلق الهاتف بصمتٍ مضطرب، ثم أعلن للجميع أن والدة شريف محجوزة في المستشفى وفي حالةٍ حرجة... تلاشت كل مظاهر الفرح، وتحولت معظم الوجوه من البهجة إلى الحزن.

تَوَجَّه شريف إلى المستشفى مُسرعًا، خفق قلبه بشدة وحمل في داخله الكثير مِن الخوف والقلق على والدته، عمود حياته، الحضن الدافئ، والملاذ الآمن مِن تلك الدنيا المخيفة؛ والدته التي لم يعرف دونها الحياة، لم يكن مستعدًا لمواجهة الواقع القاسي الذي ينتظره هناك.

وصل إلى قسم الطوارئ، همست الممرضة بكلماتٍ مع الطبيب، تَوَجَّه إليهم مُسرعًا، كادت كلماته تتلاشى مِن شدة قلقه، حاول تهدئة نفسه ونجح أخيرًا في السؤال عن حالة والدته، رفع الطبيب رأسه ببطء ونظر إلى شريف بعينين مليئتين بالتعاطف،

وأبلغه أن والدته في حالة حرجة، حيث يبدو أنها تعرضت لصدمةٍ شديدةٍ هي ما تسببت في ما حدث لها.

أصرَّ "شريف" على رؤيتها... لا يُمكن أن يكون هذا هو الوداع... لا يُمكن أن تنتهي الأمور هكذا دون أن يتحدث إليها مرة أخيرة، سمح له الطبيب بالدخول بعد إلحاحه الشديد، محذرًا إياه ألا يُجهدها بالحديث... فتح شريف باب الغرفة بصمت، وقف عند المدخل لثوانٍ تعلقت عيناه بوالدته الممددة على السرير... كانت ملامحها شاحبة، شعر بأن الحياة تتسلل منها ببطءٍ مؤلم.

ضجت الغرفة بصوت الأجهزة الطبية التي تراقب نبضات قلبها، تلك النبضات التي بدت أنها تُنازِع مِن أجل البقاء.

اقترب منها مترددَا وجلس بجوارها مُمسِكًا بيدها، شعر أنها باردة كالجليد، استطاع بالكاد أن يهمس بصوتٍ مرتعش، مُبلغًا إياها أنه هنا بجانبها.

فتحت عينيها ونظرت إليه نظرةً واحدة مليئةً بالألم والحزن، وقالت بصوتٍ واهنٍ بالكاد يُسمع: "ليه يا شريف؟"... انتظر أن يسمع منها باقي الكلمات حتى يفهم ما تَقصُد، أخبرها ألا تُجهِد نفسها كما أبلغه الطبيب، لكنها أصرت ان تستكمل الحديث: "ليه خبيت عليا جواز ابوك".

شعر شريف بأن سكينًا غُرست في قلبه، لم يكن يتوقع أن تكون أمه قد علمت بزواج أبيه، فلقد نجحوا في كتمان السر لبضع سنوات، وكان يخشى هذا اليوم، حاول أن يتحدث، أن يجد كلماتٍ تُبرر موقفه، أن يعتذر... لكن كل شيء توقف عند شفتيه.

انسابت دمعةً وحيدةً مِن عينها، وهمست بصوتٍ مرتعش، حمل كل حرف معه آخر ما تبقى مِن قوتها، وأخذت تتحدث وتسأل نفسها، هل تزوج بسبب مرضي؟ ماذا كان يجب عليَّ أن أفعل؟!

ازداد صوتها ضعفًا مع كل كلمة، وكأن الحياة تتلاشى منها مع كل سؤال، ظل شريف عاجزًا، يرى والدته مكسورة أمام عينيه ولا يملك سوى الصمت... أراد أن يصرخ، أن يُخبرها أنها لم تُقصِر في شيء، أن يُطمئنها... لكنه علم أن الوقت قد فات وبينما حاول أن يجد الكلمات... شَعرت يده بتراخي يدها... نظرت إليه نظرة أخيرة، ثم أغمضت عينيها إلى الأبد...

"ماما؟" همس شريف بصوتٍ مكسور، علم أن الرد لن يأتي أبدًا، فقد توقف نبضها... انهار بجانبها، ممسكًا بيدها التي لم تعد تحمل أي دفءٍ، انهارت الدموع بغزارة بينما هَمس لها بصوتٍ مُنكسر وعبَّر عن اسفه لما حدث... بكى شريف بحرقة وتسللت مشاعر الندم والألم إلى كل جزء مِن روحه.

***

عاد شريف إلى الحاضر بدموعٍ حارقة تنهمر على وجنتيه، شعر أن الذكريات المؤلمة قد أحاطت به مِن كل جانب... أحس فجأة بيدٍ دافئة توضع على كتفه برفق، التفت ببطء ليجد والده يقف بجواره، ملامحه مليئة بالقلق عليه.

سأله والده عمَّا أصابه؟ وعن سبب بكائه؟ وهل هذا بسبب ما وجده في "الفلاش ميموري"

شعر شريف بضغط الأسئلة عليه، ولم يعد بإمكانه الاحتفاظ بالسر، تردد للحظة، لكنه في النهاية قرر أن يُبلغه بجزءٍ مِن الحقيقة، تنهد بعمقٍ وأبلغه بصوتٍ مُرتعش أن هناك شخص ما يُهدده...

جلس والده على الكرسي المجاور، وسأله في دهشةٍ:

- بيهددك بإيه؟!

تابع شريف بتوتر، وهو يحاول شرح الموقف، دون كشف سره لوالده، فأبلغه أن هذا الشخص قد وجد معلوماتٍ حساسة عن عمله، إن علم أحد هذه المعلومات فقد يتسبب ذلك في وقفه عن العمل...

ازدادت ملامح والده قلقًا، وسأله كيف وصلت هذه العلبة إلى هنا؟

أخذ شريف لحظة ليلتقط أنفاسه، ثم أجاب بأنه ليس لديه أي فكرة، اقترح عليه والده مراجعة كاميرات المراقبة والتي تتواجد في مدخل العقار، ربما تكشف لهم شيئًا.

توجها معًا مُسرعيْن نحو غرفة المراقبة، حيث بدأ شريف ووالده فحص لقطات الكاميرات بعينين يملؤهما التركيز والترقب، توالت مشاهد الحاضرين أمامهما، وجوه مألوفة وأخرى عابرة، لكن لم يظهر أي شيء غير طبيعي... مرّ الوقت، ولم يكن هناك أي أثر لشيءٍ غريب...

توقفت عينا شريف فجأة عند لقطةٍ غريبة، حيث ظهر عامل توصيل في الفيديو يتلفت حوله، لكنه لم يظهر بوضوح، ظهر أنه

يعرف تمامًا كيف يتجنب الكاميرات. تحرك بحذر وبخطواتٍ مدروسة بشكل يثير الريبة، و سُرعان ما دخل وخرج .

تسللت الشكوك إلى عقل شريف، فتلفُّتهُ المُريب وتعمده عدم الظهور إشارةً أن هذا العامل هو الشخص الذي أدخل العلبة إلى المنزل، مَن هذا الرجل؟ ولماذا يتصرف بهذا الحذر الشديد؟ تزاحمت الأسئلة في رأسه دون إجابة.

قرر أن يُركِّز على التفاصيل الصغيرة، بدأ بتكبير الصورة حتى التقط اسم المطعم المدوَّن على ملابس العامل، فوجده مطعمًا للبيتزا، فالتقط صورة مِن الفيديو وقرر التوجه فورًا إلى المطعم الذي ظهر اسمه.

عندما وصل إلى المطعم، اقتحم المكان متوجهاً مباشرةً إلى المدير، عرض عليه الصورة وأدَّعى أن هذا العامل قد سرق شيئًا مِن منزله أثناء توصيله لطلبٍ مِن المطعم، أخذ المدير الصورة وتفحصها بتمعن، قبل أن يُبلغ "شريف" بهدوء أن الصورة غير واضحة، ولا توحي له بأنه يُشبه عامل عنده، طلب منه شريف مراجعة الطلبات التي خرجت اليوم مِن المطعم، وبعد المراجعة أكد المدير أنه لم يكن لديهم أي طلبات لهذا العنوان في التوقيت المذكور.

غُمِرَ شريف بالاحباط واليأس، فبعد أن شعر بأنه اقترب مِن الوصول لمن يُهدده، تلاشى كل شئ في لحظة، وازدادت الأسئلة تعقيدًا...

مَن يكون هذا الشخص؟ وكيف استطاع التخفي بهذا الشكل المتقن؟ وهل هو مَن يُراقبه؟ أم أنه مجرد أداة يستخدمها شخصٌ آخر؟؟

الفصل السادس

وصل المحقق "حسام الهواري" إلى مديرية الأمن حاملاً في جَعْبَتِهِ رغبةً قويةً في كشف الغموض الذي يُحيط بقضايا القاتل المتسلسل، وذلك بعد تواصلُهُ مع "اللواء أيمن" راغبًا في جمع معلوماتٍ عن القضية الحالية والقضايا السابقة التي أُكْتُشِفَ بها السم، وعارضًا خدماته للمساعدة في التحقيق، والتي لاقت قبولًا عند اللواء خصوصًا بعد تلقي توصيةٍ مِن مكتب الوزير، هذا بجانب تَعَذُّر الوصول إلى أي تقدم في تلك القضايا؛ فسُجِّلت كلها ضد مجهول.

بعد وصوله بدقائقٍ قليلةٍ، جلس في مكتب "المقدم عماد" الذي لم يستطع إخفاء شعوره بالضيق مِن انضمام المحقق "حسام " لفريق التحقيق... ظهر ذلك الضيق جَلِيًّا في سؤالهِ له عن كيفية معرفته بهذه القضايا، رغم حرصهم على إبقاء الأمر سريًا للغاية، وعدم الإفصاح عن أي تفاصيل تخص تلك القضايا...

بدأ "حسام" حديثه بصوتٍ هادئ لكنه يَحْمِلُ الجِد في طياته، أبلغه بأنه لديه مصادره الخاصة وعليه ألا ينسى أنه عمل ضابطًا في المباحث مِن قبل والآن هو محقق جنائي معروف... فليس مِن الصعب عليه معرفة تلك المعلومات...

تنهد "عماد" تنهيدةً تنُمُّ عن عدم الرضا، ثم تابع متسائلًا عن الجَديدُ الذي يُمكن للمحقق تقديمه لفريق التحقيق .

تبسمَ "حسام" محاولًا احتواء "عماد" فهو يعلم مدى صعوبة أن يأتي مَن يساعد ضابط مباحث في قضية يعمل عليها منذ فترة، ثم طلب مِنه أن يُطْلِعهُ على تفاصيل كل قضية، حتى يتثنى له معرفة الجديد الذي يُمكِنهُ تقديمه...

أخذ "عماد" نفسًا عميقًا محاولًا تَقَبُّل الأمر الواقع وبدأ يشرح أن لديهم مجموعةٍ مِن القضايا مرتبطة بحالات وفاةٍ غامضة، تم اكتشاف نفس السم فيهم جميعًا رغم اختلاف مُلابساتهم...

وأنهم تلقوا مؤخرًا بلاغًا عن جثةٍ جديدة، واكتشفوا أيضًا أنها تحوي نفس المادة السامة.

لمعت عينا "المحقق حسام" عندما سمِعَ ذلك، ثم سأله عن التفاصيل.

فتح عماد ملف القضية وهو في حالةٍ مِن الإحباط، وأخبر حسام أنهم لم يتوصلوا بعد إلى هوية الضحية الجديدة حتى الآن، كل ما يعرفونه أن الجثة التي عُثر عليها مؤخرًا تعود لرجل في العقد الثالث مِن عمره، وُجد ميتًا في طريقٍ عام، بدا الأمر في البداية كحادث طريق، ولكن أثناء التشريح تم اكتشاف نفس المادة السامة، لكن المختلف في تلك المرة وجود رابط آخر غير السم يربط بين تلك القضية والقضايا الأخرى.

سأل "حسام" في لهفة عن هذا الرابط، أجابه "عماد" بأن بصمات الجثة تطابقت مع آثارٍ لبصمات وجدوها على إحدى الجثث السابقة...

طلب مِنه حسام إبلاغه بتفاصيل القضايا السابقة.

فتح عماد أحد الملفات أمامه، وبدأ في قراءةِ القضايا...

"كانت القضية الأولى لرجل أعمالٍ معروف، وُجدت جثته في مكتبه بعد أن تأخر عن موعدٍ هام... لم يظهر في البداية أي علاماتٍ تدل على وجود عنف جسدي أو محاولة سرقة، لكن بعد التشريح، لاحظ الطبيب الشرعي وجود تغيرات في كيمياء الدم، وبعد تحليلاتٍ دقيقة، تبين أن هناك سم نادر تم استخدامه، هذا السم يعمل ببطء ويصعُبُ اكتشافه، لكن آثاره القاتلة تظهر في النهاية على هيئة سكتة قلبية، لم نتمكن مِن معرفة كيف وصل السم إلى جسده، لكن الشبهات دارت حول بعض شركائه التجاريين".

دَوَّنَ المحقق ملاحظاتٍ سريعة ثم طلب متابعة سرد القضايا الأخرى.

فتح "عماد" ملفًا آخر...

"كانت القضية الثانية لامرأةٍ في منتصف العمر، كانت متزوجة مِن شخص يعمل في تجارة الأدوية، تم العثور عليها في منزلها، بدت أنها توفيت بسلام أثناء نومها، لكن ظهرت مُجددًا نفس التغيرات في دمها بعد التشريح، وبعد تحقيقات مُطولة، لم نجد أي دليل على دخول السم إلى جسدها عن طريق الطعام أو الشراب، مما جعلنا نفكر في احتمالية وجود علاقة بين هذه الحالة والحالة السابقة".

توقف عماد قليلاً ليشرب مِن فنجان القهوة أمامه، بينما واصل المحقق تدوين ملاحظاته بإمعان، ثم استأنف عماد حديثه عن القضايا:

"كانت القضية الثالثة أكثر غموضًا... كان الضحية شابًا في أوائل الثلاثينيات مِن عمره، وُجد ميتًا في سيارته بجانب الطريق... اعتقدنا في البداية أنها حالة انتحار، لكن عدم وجود أي رسالة انتحار أو دافع واضح جعلنا نُعيدُ النظر، وبعد التشريح أيضًا، اكتشفنا نفس السم... ولكننا لم نجد أي رابط بينه وبين الضحايا السابقين".

أخذ المحقق نفسًا عميقًا وهو يستوعب ما سمعه، ثم سأل عن حالة تلك القضايا، هل ما زال التحقيق فيها مستمرًا؟

أجاب عماد بخيبة أمل أنها للأسف قُيدت ضد مجهول خصوصًا بعد توقف سلسال تلك القضايا، ولكن مع ظهور أدلة جديدة مِن المؤكدِ أنهم سيُعيدون فتحها والتحقيق فيها مرة أخرى...

بدأ عماد بالحديث عن القضية الرابعة، والتي يعتبرها أصعب قضية مرت عليهم...

دخل اللواء أيمن في تلك اللحظة إلى الغرفة بابتسامةٍ عريضة مُرحبًا بالمحقق "حسام"، ثم وجَّه حديثه إلى "عماد" مؤكدًا على ضرورة تقديم كل ما يحتاجه المحقق مِن مساعدة، شكر حسام اللواء ووعده ببذل قصارى جهده لحل القضايا، بينما حاول عماد بصعوبة إخفاء شعوره بالضيق مِن توجيه اللواء له...





عاد شريف إلى منزله متعبًا، بحث عن شادي في كل أرجاء المنزل، لكنه لم يجده... يبدو أنه لم يَعُد بعد، اتصل به ليطمئن عليه، فوجد هاتفه مغلقًا كما جرت العادة مؤخرًا... دخل إلى غرفته وجلس في الظلام، لم يرغب في إشعال الأضواء، شعر بأنه لا فائدة منها، فلم تَعُد تُشَكِّل أي فارق بالنسبة له، فحياته تحولت إلى ظلامٍ دامس، بدأ يفكر فيما يمر به وعقله لا يستوعب الأحداث فقد تدفقت بسرعةٍ كبيرةٍ كنهرٍ جارف، ولكنه أدرك أن الهروب ليس خيارًا بعد الآن، عليه أن يعرف الحقيقة ويفهم ما يحدث حوله.

رن هاتفه فجأةً، ليقطع الصمت المخيم على الغرفة، نظر شريف إلى الشاشة، فوجد الرقم مجهولاً... تَمَلَّكه شعورٌ غريب، خليط مِن الخوف والترقب... تردد للحظةٍ، لكنه في النهاية أجاب على المكالمة... فتح الخط وقرَّب الهاتف مِن أذنه دون التفوه بكلمةٍ واحدة، ليسمع اسمه مِن الطرف الآخر بنبرةٍ هادئة، لكنها تحمل في طياتها سخريةٍ كبيرة.

تأكد شريف على الفور أن هذا الصوت هو نفسه مَن هدده مِن قبل، بدأ شريف بإطلاق الأسئلة بدت وأنها وابلٌ من طلقات الرصاص، سأله بعصبية شديدة عن هويته، ولماذا يُطارده، وماذا يُريد منه؟

أطلق ذلك الشخص ضحكةً قصيرةً وساخرة، ورد بنبرةٍ تهكمية بأن هناك سؤالٌ أهم مِن جميع تلك الأسئلة...

وهو ما رأيه في مذاق البيتزا، هل أعجبته؟ ولماذا ذهب بنفسه للمطعم؟ هل قصَّرَ معه عمال التوصيل في شيء؟!

شعر شريف بتشنج في عضلات وجهه، وسأل نفسه كيف علم هذا الشخص أنه زار مطعم البيتزا؟ أصبح واضحًا لشريف أن هذا الشخص يُراقبه عن كثب.

تابع الشخص الغامض حديثه بسخريةٍ أكبر، مُخْبرًا إياه أنه يعلم عنه كل شيء، بما في ذلك ذهابه إلى المطعم للتحقق مِن الشخص الذي ظهر في كاميرات المراقبة، وأضاف أنه توقع كل خطوة خطاها ويعرفُ كل خطوة سيخطوها!

ابتلع شريف ريقه بصعوبة، وبدأ قلبه ينبض بسرعة، حاول أن يظل هادئًا رغم أن أعصابه تآكلت مِن الداخل .

أكملَ الشخص الغامض حديثه مؤكدًا أنه لم يتصل به اليوم ليناقش أمر البيتزا بالتأكيد، رغم أنه وجد ذلك مسليًا للغاية.

لكنه أراد أن يُهاديه بهديةٍ أُخرى... فوجَّه إليه الحديث بنبرةٍ أكثر جدية ...

- لو قلتلك أنا القاتل اللي بتدوروا عليه هتصدقني!!

الفصل السابع

صمت شريف للحظاتٍ، محاولًا استيعاب الكلمات التي سمعها للتو عبر الهاتف... ترددت الجملة في عقله وشعر أنه في حلمٍ مُزعج، هل يمكن أن يكون هو القاتل بالفعل، أم أنه يحاول التلاعب به فقط؟ بدا صوت الرجل في الطرف الآخر مِن المكالمة هادئًا ومليئًا بالثقة، وبدا أنه يعرف كل شيءٍ عن شريف وما حدث.

توقف شريف عن التفكير عندما سمع صوته يتحدث بنبرة ساخرة:

- سكت ليه يا شريف؟ شكلك مش مصدقني!

رد شريف بصوت مُتهكم مُحاوِلًا كسب بعض الوقت:

- وانت بتعترف على نفسك كده عادي يعني؟

ضحك الشخص الغامض ضحكةً قصيرة، ثم قال بابتسامة يمكن تخيلها مِن نبرة صوته:

- شفت! أنا بضحي بنفسي علشان أساعدك... على فكرة، ممكن أقولك الدليل لو عايز.

ازدادت شكوك شريف، لكنه شعر بأن عليه الاستمرار في الحديث لمعرفة ما يُريده هذا الشخص بالضبط. بدأ عقله يعمل بسرعة محاولًا تحليل الموقف:

- وايه بقى الدليل اللي عندك؟

صمت الطرف الآخر لبضع ثوانٍ، وتعمَّد جَعْل شريف ينتظر، ثم قال:

- هقولك الدليل، بس بشرط واحد... إنك تقولي أنت كمان السر اللي مخبيه.

صمت شريف لوهلة، بدأ يشعر بالغضب يتصاعد في داخله... علم أن هذا الشخص يتلاعب به، لكنه مضطرًا للاستمرار في الحديث لمعرفة المزيد، قبل أن يتمكن مِن الرد، قطع الشخص الغامض الصمت، وقال بنبرةٍ واثقة:

- هسيبك فترة تفكر، مش مستعجل.

ارتجف شريف، وظهر القلق على ملامحه رغم مُحاولته الظهور مُتماسكًا... أكمل الشخص الغامض حديثه بهدوء، محاولًا إحكام قبضته على أفكار شريف:

- خليك فاكر، أنا عايز أساعدك.

انتظر لوهلةٍ مِن الوقت، ثم استطرد:

- طبعًا انت عايز تعرف انت قتلت مين، مش كده؟

اتسعت عينا شريف مِن الصدمة، كيف لذلك الشخص قراءة أفكاره بتلك الطريقة؟ فقد طارده هذا السؤال ليل نهار، لطالما أراد

معرفة هوية الشخص الذي قتله بالخطأ، فهو بحاجة ماسة لإغلاق هذا الفصل مِن حياته.

أخبره الشخص الغامض بأنه سَيُرسل له عنوانًا الآن، وأن عليه الذهاب إلى هناك إذا أراد حقًا معرفة هوية ضحيته.

انتهت المكالمة فجأة، واختفى صوت الشخص الغامض تاركًا شريف وحده مع أفكاره المتشابكة بعد أن استمع جيدًا للتعليمات التي تلقاها عبر الهاتف، تردد فيما يجب عليه أن يفعله، كان عليه أن يعرف هوية الشخص الذي صدمه بسيارته، رغم أنه علم أن هذه الخطوة قد تُزيد مِن تعقيد وضعه.

مضت دقائق قليلة قبل أن يَتلقى رسالةً نصية تحتوي على العنوان... تجمد شريف للحظة وهو يُحدق في الشاشة، ثم نهض مِن مكانه وأخذ مفتاح سيارته وغادر المنزل مُسرعًا.

اتجه شريف إلى العنوان، مبنى قديم في حيٍ هادئ. لم تكن هناك أي ملامح تُميز المبنى عن غيره. رأى الأنوار مُشتعلة وسمع أصواتًا منخفضة تأتي مِن الداخل، توقف شريف أمام الباب لوهلة، مُترددًا، قبل أن يدق الجرس.

فَتحت له الباب طفلةٌ صغيرة، فلم يدرِ ماذا يقول، كل ما يعلمه أن هذا هو المنزل الذي أخبره به الشخص الغامض، تساءل في صمت، هل هذه الطفلة ابنة الضحية؟، فسألها عن والدها، فأخبرته أنه لم يَعُد إلى المنزل منذ فترة، وأن أخوها الكبير خرج للبحث عنه، حينها سمع صوتًا لإمرأةٍ مُسنة قادمةً مِن الداخل بدا مِن صوتها الحزن والقلق، بدأ شريف مترددًا بإلقاء التحية عليها، فسألته عن هويته بعد أن ردت التحية، ابتلع شريف ريقه وأجبر نفسه على

التحدث بثقة، وأخبرها بأنه سمع عمَّا حدث لابنهم وأنه يقوم بجمع المعلومات.

بعدما دخل شريف إلى غرفة الضيوف بدأ يفكر فيما سيقوله، فهو على الأقل يُريد معرفة هويته، هَمَّ ليبدأ بالحديث بعد لحظاتٍ مِن الصمت، ولكن فجأة قطع صوت جرس الباب ذلك الصمت .

استأذنت مِنه السيدة العجوز وتوجَّهت نحو الباب لتعرف مَن القادم؟

سمع شريف صوتًا مألوفًا يتردد في أرجاء المكان، فقد سمع عماد يُقدم نفسه لأفراد عائلة الضحية!

انتفض شريف حينها مِن مكانه، واتسعت عيناه في رعب، وتراجع خطوةً إلى الوراء وهو يُحاول أن يجد مخرجًا سريعًا مِن هذا المأزق.

الفصل الثامن

قبل ساعة في مكتب المقدم عماد

بعدما قطع حديثهما اللواء أيمن، عاد عماد ليستكمل شرح تفاصيل القضية الرابعة للمحقق حسام الذي جلس بجواره مُنتظرًا بشغف تفاصيل تلك القضية.

وما إن هَمَّ عماد بسرد التفاصيل، قُطع الحوار بينهما مُجددًا بدخول عسكري والذي أبلغ المقدم عماد بأن هناك رجلاً بالخارج يطلب مقابلته، وناوله كارت توصية... ألقى عماد نظرة عليه فوجد أنه مِن المقدم سمير، زميله مِن أيام الجامعة ويعمل حاليًا في إدارة مكافحة المخدرات.

استأذن عماد مِن حسام لمعرفة ما يُريده ذلك الرجل، فأومأ حسام برأسه مُوافقًا وأكد أنه لا يوجد أي مانع على الإطلاق، ثم أمسك بملف القضية وبدأ في تصفحها حتى ينتهي عماد.

سُمح للرجل بالدخول بإشارةٍ مِن عماد، اندفع إلى الداخل مُسرعًا، بدت عليه ملامح التوتر، عرَّف بنفسه وأوضح لعماد أنه

قادم مِن طرف المقدم سمير، قبل أن يُخبره بأن صديقًا مُقربًا له قد اختفى منذ يومين ولم يجد له أي أثر .

استفسر مِنه عماد عن سبب عدم تقديمه بلاغًا رسميًا عن الاختفاء، فأجابه الرجل بأنه رغب في تجنب المشاكل، مُعتمدًا على علاقته بالمقدم سمير للحصول على المساعدة بعيدًا عن التعقيدات الرسمية.

صمت عماد للحظة وهو يتأمل الموقف، ثم ضغط على الجرس لاستدعاء العسكري وطلب مِنه مرافقة الرجل إلى الرائد كرم لفتح محضر رسمي، لكن عندما همّ الرجل بالخروج، حدث ما لم يكن في الحسبان، تجمدت عينيه على صورة وصرخ بصوتٍ مليء بالدهشة:

-هو ده صاحبي!

طلب عماد مِنه التريث والتأكد، فتلك هي صورة الضحية الأخيرة التي لم يتم التعرف على هويتها بعد، فكرر الرجل بصوتٍ ثابت:

-وأنا اتوه عن عبد الله؟ ده عِشرة عُمر.

طلب عماد مِن الرجل اصطحابهم إلى عنوان الضحية، وبعد أن خرجوا مِن المكتب، أخبر عماد المحقق حسام أنه سيتوجه إلى مكتب الرائد كرم ليبلغه بما حدث ويطلب مِنه مرافقتهم، فانصرف حسام ليُحضر سيارته وينتظرهم أمام المديرية.

طلب عماد مِن الرجل الانتظار، وتوجه إلى مكتب الرائد كرم وبعدما خرجوا سويًا سأل كرم عن الرجل فتفاجأ عماد أنه اختفى! ووجد العسكري يُسلمه ورقة تركها له الرجل تحتوي على عنوان عبد الله، خرجوا مِن المديرية وانطلقوا مُسرعين نحو منزل الضحية.

استوقفوا أحد المارة عند وصولهم، وسألوه عن العنوان، فأشار إلى منزل وأخبرهم أنه يَقطن في الطابق الأول مِنه، تقدم عماد عند وصولهم وبدأ بالطرق على الباب... فتحت سيدة عجوز الباب، قدّم لها عماد نفسه ووضّح لها سبب زيارته، تعجبت السيدة وأخبرته عن وجود أحد بالداخل يسأل أيضا عن عبد الله، رفع عماد حاجبيه بدهشةٍ واستفسر عن اسم هذا الشخص،

ردت بأنه لم يُفصح حتى الآن عن هويته، طلب مِنها الإذن بالدخول، وهو يشعر بأن هناك لغزًا جديدًا يَتشكّل أمامه.

سارت السيدة أمامهم عبر الممر، بدأ عماد يفكر مَن قد يكون هذا الشخص الذي وصل قبلهم؟ وكيف عرف العنوان؟ وما الذي يُريده؟

فتحت السيدة الباب، ولكنهم صعقوا بالمفاجأة، فلم يكن هناك أي أثر لشريف.

شعر عماد بشيءٍ غريب، معنى ذلك أن الرجل الذي سبقهم لم يكن يُريد أن يعرف أحد بوجوده... وأخذ يُفكر ما الذي بحث عنه هنا؟

التفت المقدم عماد نحو السيدة محاولًا تهدئتها بينما يحاول أن يجد تفسيرًا لغياب الشخص الغامض الذي حضر هنا قبل وصولهم، خمن عماد أن هذا الشخص قد يكون صحفيًا، وقد رحل فور علمه بوجود الشرطة، ربما خوفًا مِن التدخل في تحقيق رسمي.

بعدما هدأ الموقف، استفسر عماد مِن السيدة عن آخر مرة رأت فيها ابنها عبد الله وعن حياته وطبيعة عمله، تنهدت السيدة وهي

تسترجع الذكريات، وأخبرته أن عبد الله غالبًا ما يغيب عن المنزل لأيام بسبب طبيعة عمله، لكنها بدأت تشعر بالقلق هذه المرة حين اتصل بها شخص من العمل ليسأل عنه لأنه لم يظهر منذ يومين، مما زاد مِن مخاوفها، عندها طلبت مِن ابنه الأكبر أن يبحث عنه، وكانت على وشك إبلاغ الشرطة إذا لم يظهر أي جديد.

نظر عماد إليها بعينين مليئتين بالتفهم، ثم قرر أن يُمهد لها الحقيقة القاسية بهدوء، فأخبرها أنهم مؤمنون جميعًا بالله وبقدره، فبدأت تشعر بالقلق وسألته عمَّا اذا قد حدث مكروهًا لابنها، فأخبرها أنه تم العثور على جثة تنطبق عليها أوصافه.

تجمدت ملامح السيدة للحظات قبل أن تنفجر بالبكاء والانهيار، حاول عماد تهدئتها قدر الإمكان، وأخبرها أنهم بحاجة لشخص مِن العائلة للتعرف على الجثة بشكل رسمي، قبل أن تُكمِل السيدة حديثها، دخل حفيدها وابن الضحية الأكبر، الذي بحث عن والده، ليرى جدته في حالة انهيار ويُدرك أن مكروهًا قد حدث...

نظر عماد إليه بعينين مليئتين بالجدية، وشرح له الموقف.

وافق الابن على الذهاب معهم إلى المشرحة للتأكد مِن هوية الجثة .



قبل دقائق...

تسلل القلق إلى شريف مع كل خطوة يخطوها المقدم عماد مع السيدة نحو الغرفة... علم أن الوقت ليس في صالحه، نظر بسرعة مِن نافذة الشرفة، وفكر فيما سيفعله... سمع صوت السيدة تُخبر عماد أن هناك شخصًا آخر.

أدرك شريف حينها أنه يجب أن يقرر ما سيفعله سريعًا، فالهرب هو كل ما يُمكنه فعله، فاستدار نحو الشرفة، لم يكن لديه وقت للتردد.

قفز شريف مِن الشرفة في لحظة يأس، هابطًا بقوة على الأرض. لكنه لم يكُن مستعدًا للاصطدام بجسدٍ آخر.

هز الاصطدام الشخص الآخر للحظة، وجعله يتراجع خطوة إلى الوراء، رفع عينيه ليرى شريف الذي سقط مِن العدم، لكن تدارك شريف الوضع سريعًا، اعتذر له دون أن ينظر إليه، وابتعد مُسرعًا عن المكان.

***

كانت الرحلة إلى المشرحة مليئة بالصمت، جلست السيدة العجوز مرتجفة ووجهها شاحب في المقعد الخلفي للسيارة بعد أن أصرت على الذهاب معهم، وبجوارها ابن الضحية الأكبر، يمسك

بيدها محاولًا تهدئتها، رغم أن صوته لم يكن أكثر ثباتًا مِن صوتها المرتجف.

قاد المقدم عماد السيارة وهو يعلم أن ما ينتظرهم في المشرحة لن يكون سهلًا على هذه الأسرة، لكنه مُضطرًا لمواجهة الواقع مهما كان مؤلمًا .

جلس المحقق حسام إلى جانبه، يراقب الطريق ويتفحص الموقف بهدوء، لكنه شاركهم نفس الشعور بالترقب والحزن.

سأل المقدم عماد عن شريف عندما وصلوا إلى المشرحة فأخبره موظف الاستقبال أنه رآّه منذ لحظات لكنه اختفى، حضر سعيد مساعد شريف وعلم أن هؤلاء هم عائلة عبد الله، فاستقبلهم بنظرة تعاطف، وقادهم عبر ممراتٍ للوصول إلى الجثة والتي تقبع خلف أحد هذه الأبواب المغلقة.

توقفوا أمام الباب، فتقدم عماد وألقى نظرةً سريعةً على الأسرة، محاولًا أن يمنحهم بعض القوة لمواجهة اللحظة التالية... فتح سعيد الباب ودعاهم للدخول .

وجدوا سرير معدني مغطى بملاءة بيضاء داخل الغرفة الباردة... تقدم الابن نحو الجثة، ووقف بجانبها للحظة بعينين مليئتين بالترقب والخوف، أشار إلى سعيد ليرفع الغطاء.

حين كشف سعيد عن وجه الجثة، بدت ملامح عبد الله واضحة، انطلقت صرخة مِن فم السيدة العجوز وهي تنهار مجددًا بين ذراعي حفيدها الذي ملأت الدموع عينيه وهو يحدق في وجه والده .

وقف شريف على بُعد أمتارٍ قليلة في اللحظة التي كشف فيها سعيد عن وجه الجثة، تسلل إليه الندم، شعر بأن الغرفة قد ضاقت عليه، أراد أن يُعلن عن اسفه لهم، لكنه لم يستطع أن يواجههم.

لم يكن هذا ما أراده، لم يكن هذا ما خطط له... رأى أمامه انهيار حياة أسرة بأكملها، وعلم أنه السبب في ذلك.

تراجع شريف قليلًا إلى الخلف، محاولًا إخفاء نفسه عن الأنظار، حاول أن يقنع نفسه بأن ما حدث لم يكن بإرادته.

وضع المقدم عماد يده برفقٍ على كتف الابن، وحثَّه على التماسك، ثم طلب منهم الانتظار خارجًا لحين إنهاء الإجراءات للسماح لهم بدفن الجثة.

***

بعدما عاد المقدم عماد إلى المديرية، استدعى العسكري وسأله عمَّا إذا كان قد أخذ بيانات الشخص الذي أراد الإبلاغ عن عبد الله، بدت علامات الارتباك واضحة على وجه العسكري الذي هز رأسه بالنفي وأخبره بأنه لم يفعل ذلك، حيث انه اختفى وقتها ولم يَعُد مرة أُخرى.

استند عماد على حافة مكتبه وبدأ يفكر أن هذا الشخص مِن المؤكد أنه يعلم عبد الله جيدًا، وقد يكون هو الخيط الأول لمعرفة خطوات عبد الله قبل الحادث، لكن كيف يُمكنه الوصول إليه الآن؟

تذكر كارت التوصية الذي حضر به ذلك الشخص، حيث حمل اسم زميله، "المقدم سمير" أخذ هاتفه واتصل بسمير على الفور، بعد السلام والحديث عن بعض الذكريات، أخبره عماد أنه أراد أن يسأله

عن الشخص الذي أرسله اليوم، والذي قد بحث عن صديقٍ له اختفى.

جاء الرد سريعًا مِن سمير، لكنه مليئًا بالتعجب، حيث أكد سمير أنه لم يُرسل أحد !

الفصل التاسع

عاد "شريف" إلى المنزل، انتابته مشاعر الندم كلما تذكر لحظة انهيار والدة عبد الله وولده.

جلس على الأريكة وتسلل الإعياء إلى جسده، احتاج للتحدث، لكن مع مَن؟ لم يكن هناك شخص أقرب إليه مِن شقيقه شادي، بالرغم مِن صغر سنه إلا أن شريف يشعر بالراحة عندما يتحدث إليه، لم يكن يتوقع مِن شادي حلًا لمشاكله؛ كان يكفيه أن يتحدث فقط، أن يُخرِج ما بداخله ليرتاح ولو قليلاً، ويتخلص مِن الشعور السيئ المُلازم للمشاكل التي يمر بها ويكتمها بداخله، شادي الذي اعتبره بمثابة مرآته.

فتح "شريف" عينيه فجأة، فرأى "شادي" جالسًا بجانبه... لم يشعر بحضوره، لكنه موجود هناك عندما يحتاجه.

تنفس شريف بعمقٍ، ثم تحدث بصوتٍ منخفض يُسمع بالكاد:

- تعبت يا شادي... كل اللي بيحصل ضاغطني جدًا.

هز شادي رأسه بتفهم، عاكسًا ذلك الهدوء المعتاد عليه، كما لو أنه يعلم مسبقًا ما سيقوله شريف .

رد عليه بنظرةٍ بريئة يُطمئنه:

- كله هيبقى كويس إن شاء الله.

ثم استطرد حديثه قائلاً:

- على فكرة البواب جابلك حاجات وأنت كنت برا، سابهم قدام الباب.

نظر إليه شريف بابتسامةٍ خفيفة، وسأله مازحًا:

- طبعًا هو خبط وانت مفتحتلوش، عادتك ولا هتشتريها.

ولكن سرعان ما تغيرت نبرة شادي إلى جديّة، متجاهلًا الحديث عن البواب :

- أنا زعلان منك على فكرة، ليه ماخدتنيش معاك الحفلة اللي عملوها علشانك؟

نظر "شريف" إليه وأكد عليه أنه لم يكن يعلم بالحفل، فقد تفاجأ به، ولكن بالرغم من ذلك عرض عليه الخروج لتناول العشاء معًا والاحتفال سويًا عِوضًا عن ذلك اليوم.

مرت دقائق قبل أن يخرج الاثنان سويًا، قاد شريف السيارة باتجاه مطعمهم المفضل، عندما وصلوا إلى المطعم، استأذن شادي لإجراء مكالمة هاتفية سريعة، تاركًا شريف يدخل وحده... جلس "شريف" بهدوء، واختار لهما الطعام، طبقين مألوفين اعتادا على طلبه معًا...

بينما انتظر عودة شادي، غاص في بحر الذكريات مرة أخرى، لحظات السعادة القديمة استغلها للهروب مِن الواقع القاسي، عاد

شادي فوجد الطعام قد حضر، تحدثا معًا عن ذكرياتهم، واسترجعا مواقف مضت، شعر بأنها تحدث الآن .

شعر "شريف" بشيءٍ مِن الراحة عندما تذكر تلك الأيام والتي أخذته إلى عالم آخر، تناسى بها كل ما مضى به في ذلك اليوم، والأحداث السيئة في الأيام الماضية.

بعد دقائق قرر "شريف" الذهاب إلى الحمام، وطلب مِن شادي أن يأكل و يُنهي طبقه قبل أن يعود.

عندما عاد لم يجد أثرًا لشادي، تسرب القلق إليه، أمسك بهاتفه وحاول الاتصال به لكنه وجد الهاتف مغلقًا، نظر حوله بقلقٍ مُتزايد، وبدأ يبحث عنه بين الطاولات والممرات، ووجهه المتجهم يعكس اضطرابه الداخلي... سأل كل العاملين، لكن لم يكن لديهم أي فكرة عن مكانه.

اتجه إلى إدارة المطعم وطلب مراجعة كاميرات المراقبة، وقف أمام الشاشة، يُتابع ويترقب...

تسارعت نبضات قلبه، وتاهت عيناه بين الوجوه في الفيديوهات، حتى رأى ما كان يخشاه... فطلب مِن عامل الكاميرات إعادة تلك اللقطة مرة أخرى مع تكبير الصورة.

***

في نفس التوقيت...

جلس المحقق" حسام" في مكتب المقدم "عماد" يُراجع ملفات القضايا التي علِم نبذةً سريعةً عن كُلٍ منها، لكنه انتظر قدوم "عماد" وذلك حتى يأخذ تفاصيل آخر قضية لتكتمل معه ملفات القضايا التي قُتِل فيها الضحايا بنفس السم الغامض... وصل "المقدم عماد" واعتذر عن تأخره للمحقق "حسام" الذي بدوره قدَّر الوضع والضغوطات التي يعيشها "عماد" الآن، انتظر برهةً مِن الوقت حتى يهدأ المقدم عماد، ثم بدأ حديثه:

-كدة ناقص ملف قضية واحد.

رد "عماد" مُؤكدًا كلام حسام، فهذه القضية الأخيرة التي ظنوا أنها نهاية الجرائم، لأن القاتل لم يظهر لأكثر مِن شهرٍ بعدها، حتى عاد للظهور مِن جديد بقضية عبد الله...

تنهد المقدم "عماد" ثم أكمل حديثه بصوتٍ يحمل الحزن والأسى موضحًا لحسام أنها أصعب قضية مرت عليهم؛ ليس فقط لأنها لضحيتين في وقتٍ واحد: طفل صغير ووالدته... ولكن لأنها تخص أحد القائمين على التحقيق في القضية، أدركوا وقتها أن القاتل أراد أن يُرسل لكل الذين يعملون على القضية رسالةً مفادها أنه يعلم أنهم اقتربوا، ولن يسمح لهم بالإمساك به...

تشوق "حسام" لمعرفة مَن هم الضحايا...

أمسك "عماد" بملف القضية وسلمها إلى حسام، الذي فتح الملف ليقرأ أسماءهم... "نرمين كمال العناني" و"شادي أحمد زهران..."

ليوضح له "عماد"، أنه الأخ الأصغر للطبيب الشرعي الذي يعمل على القضية "شريف زهران!"

الفصل العاشر

وقف شريف أمام الشاشة مُحدِقًا فيها، يُتابع كل حركةٍ بترقبٍ شديد، حتى طَلَبَ إعادة لقطةٍ لطفلٍ يُشبه شادي، لكن عند تكبير الصورة وَجَدَهُ طفلًا آخر، فطلب منهم العودة لبداية دخوله للمطعم وجلوسه على الطاولة، لم يكُن شادي معه وقتها... انتظر أن يراه وقت طلبه للطعام ووقت تناوله ووقت حديثه معه، ولكن... لم يظهر شادي في أي لقطةٍ مِن تلك اللقطات... تسارعت وقتها نبضات قلبه، وتساءل كيف حدث هذا؟ هو يعلمُ الإجابة جيدًا، ويُدْرِكها تمامًا ولكنه لم يُرِد أو لم يستطع أن يَقْبَلْها أو يُصدِّقُها، شادي لم يكُن موجودًا ولم يَعُد موجودًا.

بدأت تتشابك الأحداث أمامه مثل خيوط العنكبوت التي نسجتها يده دون أن يُدرك، والآن بات عليه مواجهة تلك الحقيقة التي حاول عقله الهروب منها طويلاً.

عاد شريف إلى المنزل يَجُر قدميه بخطواتٍ مُنهكة، كل خطوةٍ حملت جبالًا من الحزن والأسى، أغلق الباب بالكاد خلفه، وعيناه شاردتان، أمسك بعلبة الدواء الموضوعة على الطاولة، نظر إليها

لثوانٍ ثم رماها بعنفٍ نحو الحائط... ارتطمت العلبة وسقطت على الأرض، متناثرة بدت أنها تعكس تَمَزُّق مشاعره.

جلس على الأرض مُنهارًا، رأسه بين يديه، وأنفاسه متسارعة، لم يكن قادرًا على الهروب من الحقيقة التي تُحاصره مِن كل جانب... تلك اللحظة القاتلة حين أدرك موت شادي، تَذَكَّرَ يوم وفاته فهو كابوسًا يتكرر في ذهنه لأيامٍ وليالي... لم تُفارقه تلك الذكرى، وباتت تُحاصره في كل لحظة...

أغمض عينيه، وسرعان ما عاد بذاكرته إلى تلك الأيام المريرة، وبدأت الذكريات تتسلل إلى عقله ببطء...

***

قبل شهر...

بدا ذلك اليوم حاسمًا عندما اقترب "شريف" أخيرًا مِن اكتشاف نوع السم الذي قُتلت به الضحايا، شعر أنه على وشك الانتصار في حربٍ طويلةٍ مع هذا القاتل المتسلسل، جلس مع المقدم "عماد" في مكتبه ومعهما الفريق، يتحدثون بحماسٍ بعد أن أبلغهم شريف عن الاكتشاف المهم، لم يتمالك المقدم عماد نفسه مِن الفرحة وشعر بأنهم يتقدمون للأمام، فبعد أن أصبح لديهم بصمات للجاني، اقتربوا مِن الوصول لنوع السم المستخدم، اعتبر الجميع ما حدث إنجازًا بعد سلسلة مِن الضحايا لم يصلوا فيها إلى أي دليل، مما يوحي أن المجرم بدأ يقع في أخطاء، والقبض عليه ليس إلا مسألة وقت.

شعر شريف براحةٍ لم يشعر بها منذ فترة كبيرة، لكنه لم يَكُن يعلم أن هذه الراحة لن تدوم طويلاً...

فقد تلقى مكالمةً أثناء انشغاله مع الفريق بمراجعة الأدلة والبصمات التي وجدوها في مسرح الجريمة هزَّت كيانه...

سمع صوت شقيقته شيماء بانهيارٍ تام تُخبره بوفاة زوجة أبيها وأخوها الصغير شادي...

سقط الهاتف مِن يد شريف... وتَحَوَّل العالم في عينيه فجأةً إلى ضبابٍ كثيف، أصبح صوت المقدم عماد ورفاقه باهتًا بالنسبة له وبدا أنهم يتحدثون مِن مكانٍ بعيد، مرت لحظات ليفهم المعنى الكامل لما سمعه، ثم هرع إلى المكان.

عندما وصل إلى المستشفى، تحرك في ممراتها ببطءٍ شديد؛ قاومت قدمه كل خطوةٍ يخطوها، التقى بعيني شيماء وسيد الواقفيْنِ في زاوية الممر، لكنه لم يَرَهُم، فقد حدقت عيناه للأمام شاردةً بلا تركيز... لم يرَ سوى ذلك الباب الأبيض المُغْلَق على الحقيقة... تلك التي يَرْفُض تصْدِيقَها.

توقف أمامه للحظةٍ تسارعت فيها نبضات قلبه، وارتجفت يداه، وهو يحاول الإمساك بمقبضه ليفتحه... دفعه بيدٍ مرتعشةٍ، فوجد الجثة ممددة على السرير المعدني في وسط الغرفة، مغطاة بملاءة بيضاء تصل إلى منتصف الصدر.

تقدم إلى الأمام ببطء، شعر أن الأرض تسحبه للخلف مع كل خطوة، خانته قدماه ولم تتحرك، ولكنه أجبر نفسه على المتابعة،

عندما اقترب مِن السرير، تَجَمَّد في مكانه، وجد هناك أمامه (شادي)، الجزء الأجمل في حياته، النور الذي يُضيء عتمة أيامه...

لم يكن شادي أخًا له فحسب، بل ابنه الصغير، ملاذه الذي يلجأ إليه حينما تُغْلِق الدنيا كل أبوابها، أَحَبَ براءته التي تظهر مع كل حركة وكل كلمة يتحدث بها... كلماته التي تأتي بصوت طفلٍ صغير، وحكمة رَجُلٍ كبير.

فشادي مرآته التي يرى فيها جُزْءًا مِن نفسه، ورفيقه الذي لا يحتاج معه إلى شرحٍ أو تبرير، يفهمه دون أن يتحدث... يستمع إليه باهتمام، ويواسيه دون أن يطلب.

هاهو الآن مُمددًا على سريرٍ بارد...

نظر إليه، فتوقفت عيناه عند شفتيه التي حملتْ بقايا ابتسامةٍ بريئة، تلك الابتسامة التي لازمته دائمًا... الابتسامة التي تُنسى شريف هَمْ الحياة وتأخذه إلى عالم آخر، عالمٌ يخلو مِن الآلام والمآسي، مليءٌ بالطمأنينة والسعادة.

لكن الآن، لم تكن تلك الابتسامة كما عَهِدها، كانت جامدةً بلا حياة، بدت أنها طيفٌ مِن ذكرى قديمة.

بالرغم مِن أن البرودة ملأت الغرفة، لكنَّه شعر بحرارة الألم تُمَزِّق قلبه مِن الداخل...

رفع يده ببطء، مدها نحو وجه شادي، ولكنه تردد، لم يستطع لمس أخيه، خشى أن يتلاشى كل شيء إذا لمسه... تلك الذكريات، تلك اللحظات، ذلك الشعور بأن شادي ما زال هنا، ما زال قريبًا مِنه... لم يستطع تَحَمُّل فكرة أن الحقيقة التي أمامه ستهدم كل شئ.

"شادي"... خرجت الكلمة مِن بين شفتيه كخنجرٍ مزَّق روحه...

امتلأت عيناه بالدموع، ولكنها لم تنهمر... فالألم أكبر مِن أن يُعَبِرُ عنه بالبكاء... مد يده أخيرًا، ولمس جبين شادي البارد... عَلِمَ أن الحياة فارقت جسده منذ فترة، ولكن بالنسبة له، شادي ما زال حيًا، لا يزال هنا.

لم يكن شريف طبيبًا في تلك اللحظة، بل أخ فَقَدَ نصف روحه... جلس بجانب الجثمان في صمتٍ تام، غير مدركٍ للوقت أو المكان، احتضن أخاه ولم يستطع أحد أن يُبعده عنه...

أخرجوه بالكاد مِن الغرفة عند الفحص... ظل جالسًا عند باب الغرفة صامتًا شاردًا... لا يرى أحدًا ولا يسمع صوتًا، لا يستطيع تصديق أن شادي قد رحل حتى بعد رؤيته له.

مر عليه الليل الثقيل بقسوةٍ، وأرجاء صدره يتقاسمها حنينٌ، وحزنٌ، وحسرة...

في صباح اليوم التالي... ظهر تقرير الطب الشرعي والذي أفاد أن جثمان "شادي " يحتوي على نفس السم الذي اكتشفه شريف في تحقيقاته، وأيضا جثمان السيدة ناريمان، أدرك حينها الجميع أن القاتل المتسلسل قد استهدف ناريمان وشادي، انتقامًا لاقتراب شريف مِن كشف هويته...

عندما علم "سيد" بهذا صرخ في وجه "شريف" بصوتٍ مليء بالحزن والانكسار:

-انت السبب، لو كنت مسكت القاتل، ماكنتش أمي ماتت، ولا شادي مات! ادي اللي خدناه مِن شغلك، ماما وشادي هم اللي دفعوا الثمن.

حاولت شيماء التدخل، ممسكة بذراع سيد:

-سيد، كفاية بقى، ده مش وقته... شريف أكيد مش مسؤول عن اللي حصل.

لكن كلمات شيماء وسيد لم تصل إلى مسامع "شريف" الذي غرق في عالمه الخاص، لقد كان شادي كل شيء بالنسبة له، ومجرد التفكير في فقدانه يُزيد مِن ألمه... ظنه أنه السبب في موته جعل الأمر شاقًا عليه... ماذا عساه أن يفعل؟

مرّت الأيام، وفي كل يوم غاص شريف أكثر في حزنه، لم يجد دواءً لتلك الآلام المميتة سوى الهروب... أصبح طيف شادي معه في كل حين، فهو ما زال حيًا ولكن... في عقله فقط.

***

كان الجو مشحونًا بالتوتر والترقب في مكتب المقدم عماد، جلس المقدم خلف مكتبه، بينما وقف الرائد كرم أمامه يحمل معه ملفات تحريات القضية... بدا الإرهاق عليها واضحًا، ولكنهما لم يفقدا حماسهما للعمل.

نظر المقدم عماد إلى كرم بتركيز، ثم أبلغه أنه يحتاج تحريات شاملة عن عبد الله، وطلب مِنه تَتَبُّع كل تحركاته قبل الاختفاء، وحصر جميع الأماكن التي تردد عليها وكل شخصٍ كان على اتصال

به، وشدَّدَ على عدم إهمال أي تفاصيل صغيرة، فتفصيلة صغيرة قد تكون خيط مهم.

أومأ كرم برأسه متفهمًا، لكنه تردد لوهلة قبل أن يُبلغ عماد أنهم لم يصلوا حتى الآن لمعلوماتٍ عن الشخص الغامض الذي أبلغ عن اختفاء عبد الله.

تنهد المقدم عماد ببطء، وأكد على ضرورة الوصول له، فهو طرف خيطٍ مهمٍ.

رد كرم:

- بنحاول، بس هو اختفى تمامًا بعد ما بلغ .

رد عماد بحيرة:

-السؤال اللي شاغلني هو ليه يعمل كده؟ ليه يبلغ ويختفي بعد كده؟

فكر كرم لثوانٍ، ثم قال:

- ممكن يكون خايف مِن حاجة، أو ممكن يكون عايز يمشينا في اتجاه معين.

هز عما رأسه مُوافقًا:

- كل الاحتمالات واردة، احنا محتاجين نتحرك بسرعة، المحقق حسام خد كل بيانات القضايا وبيشتغل عليها دلوقتي، وأنا مش عايزه يسبقنا في حل القضية.

ابتسم كرم قليلاً، ثم قال بثقة:

- هنتحرك أسرع، وهجيبلك كل المعلومات في أقرب وقت.

خرج الرائد كرم مِن المكتب، وعلى وجهه ملامح الإصرار.

***

قد حل الليل وشريف واقفًا أمام منزل والده، حيث الأضواء الخافتة المنبعثة مِن النوافذ، والتي تعطي إحساسًا بالهدوء، على عكس شريف الذي لم يكُن يشعر بأي هدوء، فقلبه أخذ ينبض بقوة، وكل خطوة نحو الباب تزيد مِن وطأة الألم داخله...

طرق الباب بقوة، فتحت شيماء وامتلأت عيناها بالقلق بمجرد رؤيته، فقد عكست ملامحه كم الألم الذي يعتصر قلبه، لكنها لم تَقُل شيئًا، علمت من تعابير وجهه أن الكلمات لن تخفف مِن وطأة ما بداخله، اكتفى بالنظر إليها للحظة، ثم اندفع نحو الداخل، ليجد والده جالسًا على الأريكة، بمجرد أن رأى والده، لم يستطع شريف أن يتمالك نفسه. هرع إليه وارتمى في حضنه كطفلٍ صغير، شعر أن الزمن عاد به إلى سنوات مضت، حيث بحث دائمًا عن الراحة والأمان في حضن والده. همس بصوت يكاد لا يُسمع:

-شادي مات يا بابا... شادي راح.

ارتجف جسد والده للحظة، تسللت إلى وجهه ابتسامة خافتة ممتزجة بالدموع، ضم شريف بقوة، أراد أن يطبع تلك اللحظة في ذاكرته إلى الأبد، ثم قال بصوتٍ يملؤه مزيج مِن الفرح والحزن:

-الحمد لله، حمد الله على السلامة ياشريف، كنت مستني اللحظة دي مِن زمان.

رفع شريف رأسه مِن حضن والده بذهول، وعيناه الممتلئتان بالدموع تبحثان عن تفسير... تابع والده بصوت حنون:

-كنت خايف عليك... خايف تفضل عايش هربان في وهم شادي، بس دلوقتي انت بتواجه الحقيقة ده معناه إنك كويس يا ابني.

عاد والده يضمه بقوة أكبر، يُضمد جراح قلبه مُطمئنًا إياه أنه بجانبه، ولن يكمل رحلة العلاج وحده بعد الآن، ثم استكمل الحديث قائلاً:

-أهم حاجة انك متوقفش الدواء يا شريف.

رد شريف بعد أن فقد كل اهتمام بأي شيءٍ يخصه:

-مش هاخد الدواء تاني يا بابا... مش هاخده.

رد والده:

- ليه ياشريف، انا عرفت كمان انك مبتروحش لرامي، ليه كدة يا ابني؟ هو صاحبك قبل ما يبقى دكتورك.

حاولت شيماء مساعدته، وتحدثت إليه بصوتٍ هادئ، مليء بالشفقة والحنان:

-شريف... مش لازم تاخد الدواء لو مش عايز... بس على الأقل روح لرامي كصديق... مش لازم تتكلم عن اللي حصل، ممكن تحكي معاه في أي حاجة إنت حاسس بيها.

نظر إليها شريف للحظة، محاولاً فهم قصدها، لم يكن يُريد المزيد مِن الحديث عن الألم أو الدواء، لكن فكرة زيارة الطبيب كصديق بدأت تتسلل إلى ذهنه كشيء قد يكون أخف وطأة مما توقع.

عاد والده ليؤكد على كلام شيماء، قائلاً:

- هي فكرة كويسة يا شريف... رامي صاحبك مِن أيام الكلية، يمكن لو حكيتله تحس بفرق.

تنهد شريف ببطء، وحاول استيعاب كل شيء مِن حوله... لكنه في النهاية، لم يكن يملك الكثير مِن الخيارات.

جلس شريف في صمت داخل غرفة الانتظار بعدما اقتنع بحديث والده وشقيقته بدا كل شيء حوله ضبابيًا، شعر أن العالم بأكمله بات بعيدًا عنه... جلس على الكرسي، بدأت الأفكار تدور في رأسه. لم يكن متأكدًا أنه يُريد التحدث، لكنه علم أنه بحاجة إلى ذلك، حتى وإن لم يعترف بذلك لنفسه بعد.

انفتح باب العيادة، وظهر صديقه رامي، بابتسامة هادئة ومُرَحِّبة كما كان يفعل دائمًا... أشار لشريف بالدخول، قائلاً:

- ازيك يا شريف.... بقالك كتير مزورتنيش هنا.

دخل شريف إلى المكتب، وجلس على الأريكة، وبدأ يشعر بشيءٍ مِن التوتر، تشتت من كثرة الأفكار التي دارت في رأسه، فلم يكن يعرف مِن أين يبدأ؟

جلس رامي أمامه، ناظرًا إليه بعينين مليئتين بالتفهم والاحتواء، وبعد لحظاتٍ مِن الصمت، بدأ الحديث في محاولة لرفع الضغط عن شريف:

- أنا هنا علشان أسمعك يا شريف، احكيلي اللي تقدر عليه واللي حاسس بيه.

رفع شريف عينيه ببطء، وحاول أن يجد الكلمات المناسبة، ارتجفت شفتيه قليلاً، لكنه بدأ يتحدث بصوتٍ خافت، مليء بالتعب والوجع:

- لسة مش قادر أتقبل ان شادي مات.

ظهر الندم في صوته، أكمل حديثه، وحاول أن يُخرِجُ كل شيءٍ دفعةً واحدة:

- لما جالي خبر موته، ما كنتش مصدق، حتى بعد ما شفت جثته بنفسي، واتأكدت مِن الفحص انه مات بنفس السم.

هنا توقف شريف لوهلة، أحس بأن الكلمات تخنقه، لكنه قرر الاستمرار:

- أنا مش قادر أسامح نفسي، شادي كان أقرب حد ليّا.

أمال رامي رأسه قليلًا، مستمعًا بكل اهتمام لما يقوله شريف، ثم سأله بهدوء:

- إيه اللي بتفكر فيه دلوقتي يا شريف؟

نظر شريف إلى الأرض، بدا أن السؤال فتح جرحًا جديدًا... تنهد بعمق وأجاب:

- مش عارف... كل حاجة حواليا بقت سودة حتى شغلي اللي دايمًا بيخليني أحس إني ليا لازمة، بقى عبء.

تحدث رامي بصوتٍ هادئ وثابت:

- شريف، أنت بتمر بصدمة كبيرة، وطبيعي إنك تحس بكل المشاعر دي... اللي حصل أكيد مكنش سهل عليك، أحيانًا الحياة بتكون قاسية جدًا، لكن مهم تفهم إنك محتاج تتعامل مع اللي جواك بدل ما تهرب مِنه.

توقف رامي للحظة، مراقبًا رد فعل شريف، قبل أن يُكمل:

- مِن الناحية الطبية، ممكن تلاقي إن عقلك بيحاول يحميك مِن الألم عن طريق الإنكار أو الهروب... مشاعر الفقدان بتكون قوية

جدًا، وده بيخلي العقل يحاول يعزلها عشان ما تتعبكش أكتر..لكن الهروب مش الحل، لازم تواجه اللي حصل وتتعامل معاه.

أضاف رامي موضحًا:

- لازم تتقبل فكرة أن شادي مش هيرجع تاني... ده مش معناه إني بقلك انساه، بالعكس احزن عليه ومتهربش مِن ذكرياتك معاه، بس حاول تواجهها، أنا عارف ان ده مش سهل عليك، بس أحيانا المواجهة بتكون أفضل وسيلة لتقبل الواقع، وده هيبقي جزء مِن انك ترجع كويس وتبقى أحسن ان شاء الله.

تنهد شريف مرة أخرى، وأغمض عينيه للحظة، علم أن رامي محق، لكنه لم يكن يعرف كيف يفعل ذلك.

أكمل رامي حديثه:

- إحنا ممكن نبدأ بخطوات صغيرة، نتكلم أكتر، تجيلي مِن فترة للتانية زي ما كنت بتعمل، مش هتعرف تتحمل كل ده لوحدك، الأمور هتتحسن، لكن ده محتاج وقت وصبر.

نظر له شريف، وبدأ يشعر بشيء مِن الأمل البسيط، شعر بأن الأثقال التي يحملها على كتفيه بدأت تخف ولو قليلاً، شكر رامي على الجلسة وأكد له أنه شعر بشيء مِن الراحة، ولو قليل. نهض مِن مكانه واستعد للخروج، لكنه توقف فجأة عندما فتح الباب، رأى وجوهًا مألوفة تنتظره في الخارج... رأى المقدم عماد والرائد كرم يقفان أمامه، وقد ارتسمت على وجهيهما علامات المفاجأة والجدية في آنٍ واحد.

تَجَمَّد شريف في مكانه، تنقلت عيناه بين المقدم عماد والرائد كرم في حيرةٍ واضحة... رفع المقدم عماد حاجبيه قليلاً، لم يتوقع أن يرى شريف في هذا المكان.

شعر شريف باضطراب يتسلل إلى داخله، حاول إخفاء ارتباكه وسأل بتردد عن سبب حضورهم، تبادل حينها المقدم عماد والرائد كرم نظرات سريعة، قبل أن يُجيب عماد -بجدية:-

- جايين نتكلم مع الدكتور شوية عن عبد الله.

تردد شريف للحظة للسؤال عن عبد الله، محاولاً اختيار كلماته بعناية، فهو لا يُريد أن تَكشف كلماته عن توتره، لكنه شعر أن المقدم عماد على أهُبَّةِ الاستعداد لاستكمال حديثه قائلا:

- عبد الله... عبد الله اللي قتلته ياشريف!

تجمد الزمن بالنسبة لشريف للحظة، بدا أن الكلمات التي خرجت مِن فم المقدم عماد لم تكن واقعية.

الفصل الحادي عشر

قبل ساعة واحدة...

قبل ساعة مِن لقائهم بشريف في العيادة، انشغل الرائد كرم بجمع المعلومات حول عبد الله، الضحية الأخيرة في سلسلة القتل الغامضة، جلس في مكتبه مُحاطًا بالأوراق والتقارير، تنقلت عينه بين السطور، مُحاولًا فهم تحركات عبد الله الأخيرة... ما الذي ربط عبد الله بالضحايا القديمة؟ وكيف يُمكن أن يكون هذا الخيط هو المفتاح لفك طلاسم القضية؟ وهل عبد الله هو القاتل الذي ظلوا يبحثون عنه لشهور؟ فبصماته تطابق البصمات التي حصلوا عليها قبل شهر! والتي ظنوا حينها أنها تخص القاتل.

توقف كرم عند معلومةٍ لفتت انتباهه، أن عبد الله تردد بانتظام على عيادة طبيب نفسي... لماذا ذهب إلى الطبيب النفسي؟ وهل لهذا علاقة بموته؟

نهض بسرعة، وجمع أوراقه، ثم تَوَجَّه مباشرة إلى مكتب المقدم عماد، طرق الباب قبل أن يدخل، فوجده غارقًا في التفكير وراء مكتبه.

قطع كرم حبل تفكيره بكلماته، حيث أخبره أنه حصل على معلومة قد تكون مهمة، وشرح له ما توصل إليه.

رفع المقدم عماد رأسه، وحدق في كرم بنظرةٍ مهتمة قائلا:

-دكتور نفسي؟

عمَّ الصمت للحظات فكر فيها عماد، ثم استطرد:

-مريض نفسي! يعني ممكن يكون هو القاتل المتسلسل فعلاً.

ثم استفسر مِن كرم عمّا إذا كان لديهم أي معلومات عن الطبيب أو العيادة، فأجابه بأنه قد حصل بالفعل على العنوان .

اتفق الاثنان أن هذا المكان قد يكون مفتاحًا لكشف المزيد عن حياة عبدالله في الفترة الأخيرة، غادرا المديرية سويًا مُتجهين نحو العيادة .

بدأ المقدم عماد في الطريق يفكر في الاحتمالات المختلفة: ماذا أخفى عبد الله؟ ولماذا يذهب إلى الطبيب النفسي؟

عندما وصلا دخلا إلى العيادة، وقبل أن يطلبا مِن الاستقبال التحدث إلى الطبيب، لمحا شريف يخرج مِن إحدى الغرف...

***

ارتسمت ملامح المفاجأة على كليهما، تفحصا شريف بدقةٍ بينما تَجَمَد شريف في مكانه، تتنقل عيناه بينهم في حيرةٍ واضحة، رفع المقدم عماد حاجبيه قليلاً، لم يتوقع أن يرى شريف في هذا المكان.

تزايد الاضطراب داخل شريف، وتسارعت نبضات قلبه، لكنه حاول جاهدًا أن يبدو مُتماسكًا، وسأل بتردد عن سبب حضورهم،

حينها تبادل المقدم عماد والرائد كرم نظرات سريعة، بدا أن كل منهما ينتظر الآخر ليبدأ الحديث، قبل أن يجيب عماد بجدية:

- جايين نتكلم مع الدكتور شوية عن عبد الله.

تسلل الذعر إلى قلب شريف في تلك اللحظة، تردد في سؤاله التالي للحظة محاولًا اختيار كلماته بعناية، فهو لا يُرِيد أن تكشف كلماته عن توتره... لكنه شعر أن المقدم عماد على أَهُبَّةِ الاستعداد لاستكمال حديثه قائلا:

- عبد الله... عبد الله اللي قتلته ياشريف!

نزلت كلمات المقدم عماد على شريف كالصاعقة... شعر بتسارع أنفاسه وبدأ قلبه ينبض بقوة، وبدأ يتساءل كيف علموا بما حدث، هل الشخص الغامض الذي يطارده هو مَن قرر أن يُنهي لعبته وأبلغ عنه أم ماذا؟

ترددت الجملة في رأسه كصدى بعيد، سمعها مرارًا وتكرارًا "عبد الله... عبد الله اللي انت قتلته"، لكنها لم تكن حقيقية... رفع بصره إلى المقدم عماد، لكن وجه الأخير ظل ثابتًا جادًا، ولم ينطق بكلمة مُكتفيًا بنظراته الثابتة.

سُرعان ما تراجع عقله خطوة إلى الوراء، مُحاولًا فهم ما يحدث... لم يقل عماد تلك الكلمات حقًا... لم ينطق بها، فذلك ما هو إلا وهمًا... مجرد خيال... فخوفه جعله يرى ما لا وجود له.

- " عبد الله؟... إيه اللي حصل لعبد الله؟"

خرجت الكلمات مِن رامي كطوق نجاة تشبث به شريف، حاول أن يُقنع شريف نفسه أن الأمور قد انتهت بسلام، تنهد لتهدئة أنفاسه المتسارعة.

تبادل المقدم عماد والرائد كرم نظرات سريعة، مضت لحظة مِن الصمت تلتها إجابة عماد بصوتٍ هادئ لكن نبرته حملت جدية:

- إحنا عرفنا إنه كان بيجي هنا كتير، جينا نسألك شوية أسئلة عنه، لكن متوقعناش نشوف شريف هنا.

شعر شريف بأن حرارة الموقف بدأت تتزايد، لذلك قرر الانسحاب قبل أن تتفاقم الأمور،حاول الحفاظ على هدوء صوته وأبلغ عماد أن رامي صديق منذ أيام الجامعة، واستأذن للانصراف تاركًا إياهم يُباشروا عملهم.

أومأ عماد برأسه، وشاهد شريف وهو يخرج مِن العيادة، ثم تَوَجَّه هو وكرم إلى رامي، الذي أشار لهم للدخول إلى مكتبه لاستكمال الحديث.

جلس الثلاثة في غرفة الدكتور، ثم بدأ رامي الحديث:

- عبد الله فعلاً كان بيجي العيادة لفترة، بس مبقاش يجي مِن يوم ما ضحى مشيت مِن هنا.

لمع الاستغراب في عيون عماد حين سماعه لاسم ضحى:

- " ضحى؟ضحى مين؟ وإيه علاقتها بإن عبد الله يجي يتعالج؟

أدرك رامي أن الأمور غير واضحة بالنسبة لهم، فحاول أن يشرح الموقف:

- عبد الله مش مريض، ولا بيتعالج هنا... هو خاطب ضحى؛ السكرتيرة اللي كانت بتشتغل معايا، وكان بيجي عشان يوصلها بعد الشغل، ومبقاش يجي مِن ساعة ما مشيت.

نظر عماد إلى كرم، ثم أعاد تركيزه على رامي وقال بنبرة أكثر جدية:

- واضح إنك مش عارف إن عبد الله اتقتل.

تجمد وجه رامي للحظة، قبل أن يتمتم بحزنٍ:

- لا حول ولا قوة إلا بالله... عبد الله مات؟

أومأ عماد، ثم استكمل:

- أنت قلت إن ضحى مشيت... مِن إمتى؟ وليه؟

أجاب رامي:

- تقريبًا مِن أسبوع... قالتلي إنها قربت تتجوز عبد الله ومش هتقدر تكمل شغل.

سأل عماد بتأنٍ:

- وهي عارفة إن عبد الله عنده أولاد؟

أومأ رامي رأسه بالموافقة:

- أيوة كانت عارفة انه متجوز قبل كدة وعنده 3 أولاد.

سأله عماد:

- طيب... تعرف إيه عن عبد الله؟

رد رامي:

- معرفش كتير عنه بصراحة، هو كان بيجي ياخد ضحى ويمشي، مكنش فيه كلام بينا.

أصرعماد على استخراج أي معلومة، فقال:

- يعني مفيش مرة ضحى اشتكتلك مِنه؟ أو قالتلك عنه حاجة؟ أكيد اتكلمت معاك عن موقف حصل بينهم.

فكر رامي للحظات، ثم أومأ برأسه قائلاً:

- مفتكرش... ضحى كانت مركزة في شغلها، ومكنتش بتتكلم عن حياتها الشخصية.

رد عماد:

- محتاج عنوان ورقم تليفون ضحى.

رفع رامي عينيه نحو عماد، دون أن يُظهر أي علامات استغراب، فتح درج مكتبه، أخرج ورقة صغيرة، وبدأ بكتابة المعلومات، قال وهو يُعطي الورقة لعماد:

- ده العنوان ورقم التليفون

ساد الصمت في الغرفة، بدا أن الحوار قد وصل إلى طريق مسدود... شعر عماد أنه فقد الأمل في الحصول على معلومات مفيدة .

قطع كرم الصمت بسؤالٍ آخر:

- دكتور شريف كان هنا بيعمل إيه؟

تجمد وجه رامي قليلاً، بدا وأنه لم يكن متأكدًا كيف يجب أن يَرُد... تنهد قبل أن يقول بصوتٍ هادئ وواضح:

- شريف صديق مِن أيام الجامعة... وهو بيمر بوقت صعب بعد وفاة أخوه شادي، فهو بيجي هنا لما يحس إنه محتاج يتكلم مع حد.

نظر كرم إلى عماد، الذي بدا عليه اليأس، نهض مِن مكانه... شكر رامي على وقته، وخرج الاثنان مِن العيادة، لكن عقولهم كانت لا تزال مشغولة بالتساؤلات التي لم يجدوا لها إجابات.

***

عاد شريف إلى رامي بعد انصراف المقدم عماد والرائد كرم، تعجب رامي من عودته وسأله عن السبب، رد أنه انتظر رحيلهما للعودة مرة أُخرى، فهو لم يطق الانتظار أكثر مِن ذلك ليعرف ماذا حدث، تعجب رامي مِن قَلقِهِ، فوعده أن يُبْلِغهُ بكل ما يمر به، طلب منه رامي الجلوس على الكرسي المقابل له، جلس شريف وعينيه متعبة ووجهه مُتَجَهِّم.

نظر رامي الجالس بهدوء خلف مكتبه إلى شريف... لاحظ اضطرابه وتوتره، فطلب منه الهدوء حتى يتمكن مِن شرح ما حدث.

توقف شريف للحظة، وبدأ عقله يُعيد ترتيب الأفكار المشوشة داخله... تنهد قبل أن يبدأ بالحديث.

بدأ شريف يحكي لرامي بصوتٍ متعب كل ما حدث الفترة السابقة، وأوضح له أنه يشعر أنه في كابوس لا يستطيع الاستيقاظ مِنه .

توقف لبرهةٍ، ثم تابع أن أكثر ما يُرهقه هو ذلك الشخص الغامض الذي يتصل به، فهو يعلم كل ما حدث، ولكن اختار أن يلعب معه ويبتزه، بالرغم مِن إمكانية الإبلاغ عنه للشرطة...

سأله رامي متعجبًا :

- مين ده؟ وعايز منك إيه؟

رد شريف بقلق متزايد:

- مش عارف، هو بيهددني، وحاسس أنه بيراقبني دايمًا.

أنصت رامي بعناية لحديث شريف، مُحاولاً أن يبقى هادئاً بينما يقيّم الموقف، ثم سأله لو احتفظ بأرقام الهواتف التي يتصل منها هذا الشخص؟ ربما يستطيع تتبعها ومعرفة المزيد عنها.

أخرج شريف هاتفه بسرعة، وأظهر لرامي قائمة الأرقام الغريبة، وأخبره أنه اتصل به مِن هذه الأرقام في أوقات مختلفة، التقط رامي الهاتف، وألقى نظرة على الأرقام وسجلها، ثم أعاده إلى شريف، وبدأ يفكر فيما سيفعل، طَمْأَن شريف أنه سيبحث عن طريقة لتتبع هذه الأرقام، ونصحه أن يبقي هادئًا في الوقت الحالي، وألا يدع هذا الشخص يسيطر على مشاعره، فهو يعتمد على خوفه وقلقه ليتحكم به.

توقف رامي لحظة قبل أن يُضيف نصيحة أُخرى لشريف، حيث أشار بيده إلى رأس شريف وقال له كل شيء يبدأ مِن هنا... وأنه يجب عليه أن يتحكم بنفسه أولاً، وإلا لن يتمكن مِن التغلب على هذا الكابوس.

نظر شريف إلى رامي بعينين متعبتين، لكنه شعر بشيءٍ من الراحة، على الأقل هناك مِن يستمع له ويحاول مساعدته.

وَجَّه شريف الشكر لرامي، مؤكدًا عليه أنه سيفعل ما بوسعه وسيحاول العمل بنصائحه، وتمنى أن ينتهي هذا الكابوس قريباً.

وقف شريف، مستعدًا للمغادرة، لكنه توقف عند الباب، التفت إلى رامي وقال بصوت هادئ لكنه مليء بالأمل المتجدد:

- أنا معتمد عليك يا رامي.

هز رامي رأسه إيجاباً بابتسامة صغيرة مودعًا إياه.

***

وجد المحقق حسام نفسه أمام طريق مسدود بعدما قام بتحرياته عن القضايا. بالرغم مِن محاولاته الدؤوبة لربط الضحايا ببعضهم البعض، لم يجد شيئًا مشتركًا بينهم، لا علاقات عائلية أو اجتماعية تربطهم، ولا أماكن أو أشخاص مشبوهين، عاشت كل ضحية حياة طبيعية ولا تظهر عليها علامات الخطر أو الارتباط ببعضها البعض.

أمسك حسام بملفات القضايا التي سَلَّمَها له المقدم عماد، وبدأ يراجعها مرة أُخرى عازمًا على كشف اللغز الذي يربط بين الضحايا، بدأ يسترجع المعلومات التي علمها ويقرأ أقوال الشهود، لعله يجد شيئًا لم يلحظه مِن قبل، أو أي رابطٍ يربط بين القضايا قد يقوده إلى حل اللغز.

بدأ يتذكر أول قضية تحرى عنها، حيث كانت البداية مع عائلة رجل الأعمال المعروف الذي وُجد ميتًا في مكتبه... التقى حسام بزوجة

الضحية، التي بدت مُنهارة، لكن لم يكن هناك شيءٌ غير طبيعي في حياتهما الزوجية، أكدَّت أنها لم تُلاحظ أي تصرف غريب في الأيام الأخيرة قبل وفاته .

تحدث المحقق مع الموظفين وشركائه التجاريين في العمل، الذين تحدثوا عن شخصيته القوية وعن بعض الخلافات التجارية التي حدثت بينه وبين بعض المنافسين، لكن لم يكن هناك أي دليل مباشر يربط تلك الخلافات بجريمة قتل.

ذهب إلى النادي الذي يتردد عليه رجل الأعمال، لم يُضِف شيئًا جديدًا، ارتاد النادي بانتظام، لكنه لم يكن على اتصال وثيق مع أي مِن مُرتاديه. بدا أن حياته خلت مِن أي تهديدات ظاهرة... زادت الحيرة عندما أدرك حسام أنه لا يوجد شيء مريب أو صلة قوية بين رجل الأعمال وبين الشخصيات التي قابلها مؤخرًا.

انتقل حسام إلى التحقيق في قضية المرأة المتزوجة مِن تاجر الأدوية... قابل زوجها، الذي بدا مُخلصًا ومُحطمًا لوفاة زوجته... لم يكن هناك أي خلافات تُذكر في حياتهما -بحسب حديثه-، بدا الرجل متعاونًا، ووفر لحسام كل ما يحتاجه، لكن أيضًا لم يكن هناك أي شيء غير مألوف.

زار حسام منزل الضحية، بحث عن أي دليل أو أثر لشيءٍ غير عادي في حياتها، وجد حياتها طبيعية، فهي امرأة في العقد الرابع مِن عمرها، ربة منزل، لم تكن تتردد على أي أماكن مريبة أو تتعامل مع أشخاص غريبين، ترددت فقط على السوق في حياتها اليومية، لكن لم يتبين مِن الحديث مع العاملين هناك أي شيءٍ ملفت.

تذكر الشاب الذي وُجد ميتًا في سيارته بجانب الطريق، آخر محطة في سلسلة التحقيقات... قابل حسام والديه، أصدقاءه، وزملاءه في العمل... بدا الجميع عاجزين عن تفسير ما حدث له .

اشتهر الشاب بحيويته وشغفه بالحياة، ولم يكن يُعاني مِن أي مشاكل قد تدفع أحد للانتقام مِنه، وصفه زملاؤه في عمله بأنه شخصًا مجتهدًا ومحبوبًا، حتى الأماكن التي تردد عليها مثل: صالة الألعاب الرياضية، ومقهى محلي؛ لم تعطِ حسام أي خيوط جديدة.

توقفت التحقيقات عند هذه النقطة، شعر حسام بالإحباط؛ فبعد كل الجهود التي بذلها، لم يجد شيئًا ملموسًا... سيطر الغموض على القضايا، تيقن أنه يجب أن يكون هناك رابطًا مشتركًا، لكنه لم يستطع الوصول إليه.

أخذ حسام يفكر، وحاول ربط التفاصيل ببعضها.

لمعت عيناه فجأة، بدا أنه توصل إلى مفتاح لحل اللغز، أمسك بهاتفه على الفور واتصل بشخص ما، وقال له بصوت حازم وواضح :

- عايز أشوفك بعد ساعة في نفس المكان اللي تقابلنا فيه قبل كده.

***

بعد مرور ساعة، تَوَجَّه حسام إلى موقعٍ عرفه جيدًا، مكان اعتاد أن يجتمع فيه مع بعض الأشخاص في سرية تامة... جلس في سيارته يُراقب المارة، حتى رأى الشخص الذي ينتظره يقترب مِنه... أشار له حسام بهدوء، وطلب مِنه الدخول إلى السيارة.

فتح الرجل الباب دون تردد ودخل السيارة، جلس بجواره وهو يتلفت بقلق.

بمجرد أن استقر الرجل، التفت إليه حسام وسأله بصوتٍ هادئ ولكن حازم:

- أخبارك إيه يا سعيد؟

رد سعيد -مساعد شريف- بنبرةٍ حذرة:

- بخير يا باشا، حضرتك محتاج مِني إيه؟

نظر حسام مباشرة في عينيه، وبدون مقدمات، قال بجديةٍ واضحة:

- عايز عينة مِن السم اللي حطيته في جثة عبد الله!

الفصل الثاني عشر

قبل أيام...

جلس سعيد في حيرة مِن أمره، لم يستوعب ما سمعه مِن شريف في الهاتف منذ قليل، وتعجب أنه ذهب إلى البيت للراحة في أول يوم بعد عودته إلى العمل، فهو يعلم أن شريف رجلٌ مخلصٌ لعمله، وقلَّما غادر المشرحة دون سببٍ مقنع، وخاصةً في مثل هذه الظروف.

راجع سعيد ما قاله شريف حيث طلب مِنه ضرورة إخباره عند وصول الجثة التي اكتشفت صباح اليوم، لم يسأل عن التفاصيل، فقد اعتاد على هذه الأمور، هذه هي طبيعة عمله، ولكنه شعر بأن شريف ليس على ما يُرام.

قطع تفكيره رنين هاتفه، نظر إلى الشاشة ليرى كلمة "رقم خاص"، توقف عقله عن التفكير للحظة... نادرًا ما يحدث هذا النوع من المكالمات، ومِن المؤكد أن الشخص الذي يتصل ليس شخصًا عاديًا.

رفع الهاتف إلى أذنه ببطء بعد أن ضغط على زر الموافقة، سمع صوتٌ هادئ وواثق مِن الطرف الآخر يُخبره أنه محقق وعميد سابق في الداخلية، يُريد التحدث معه بخصوص مسألة هامة.

انتاب سعيد شعورٌ بالرهبة والحيرة في الوقت ذاته، وبدأت الأسئلة تتراكم في عقله، محقق؟ عميد في الداخلية؟ لماذا يُريد التحدث معه؟

استمر حسام بصوتٍ مُحْكَم في حديثه دون الكشف عن هويته لسعيد وأوضح له أنه يعرف تاريخه وتاريخ عائلته جيدًا، وأثبت له ذلك بسؤاله عن أحوال أخيه الذي هرب مِن التجنيد، زاد ارتباك سعيد وسأله عمَّا يُريده، أجابه بأن هناك أمرٌ ضروري، وطلب مِنه مقابلته في مكانٍ قريب، وأخبره أنه سيرسل له العنوان بعد انتهاء المكالمة.

وقبل إنهاء المكالمة أكد عليه ألا يعلم أي شخص بهذه المقابلة وخصوصًا الدكتور شريف.

عجز سعيد عن التفكير بشكلٍ واضح... حملت كلمات حسام الجدية، علم أن الأمور ليست بسيطة، تمنى لو أنه رفض مقابلته، لكنه أدرك أنه لم يملك رفاهية الرفض.

أكد على حسام بصوتٍ خافت أنه سيكون متواجد في المكان والزمان.

أغلق سعيد الهاتف وتنهد، لم تتركه الرهبة بعد، وتَزايد شعوره بالتوتر كلما اقترب مِن التفكير في هذا اللقاء الغامض، وضع الهاتف

جانبًا، وبدأ يسأل نفسه... لماذا يُريد محقق مقابلته؟ ماذا يمكن أن يطلب مِنه؟ ولماذا يطلب مِنه إخفاء الأمر عن شريف خاصةً؟

جلس على الكرسي القريب وأخذ ينظر إلى الأرض، ازداد تفكيره عمقًا مع كل لحظة مرت... لم يكن يعرف ما ينتظره، لكن شيئًا في داخله أخبره بأن القادم لن يكون على ما يُرام...

***

تَوَجَّه سعيد إلى المكان الذي حدده له حسام، اخترق رنين هاتفه الصمت الذي يُحيط بالمكان، رفع سعيد الهاتف على الفور، ليأتيه صوت حسام وهو يَصِف له موقع سيارته.

لمح سعيد السيارة عن بعد، ورأى بالكاد يدًا تخرج مِن نافذتها تشير إليه بوضوح، أغلق الهاتف واتجه نحو السيارة... فتح حسام الباب ودعاه للدخول.

بادر حسام بالحديث بصوتٍ حازم مليء بثقة تَنُم عن شخصيته القوية، وأخبره بأنه يعلم جيدًا أن شريف يثق به تمام الثقة، ويعتمد عليه في كل صغيرة وكبيرة، صمت لحظةً كمن يُعطي وزناً لكل كلمة، ثم استطرد قائلًا أن الأمر بسيط، كل ما عليه فعله هو إيهام شريف أن الجثة التي ستصل إلى المشرحة بعد قليل ماتت بالسم نفسه الذي وُجد في الجثث السابقة... اتسعت عينا سعيد مِن الدهشة... فاستكمل حسام حديثه دون أن يترك له فرصة للتفكير، قائلًا له أن كل ما عليه فعله هو وضع القليل مِن السم في جسد الضحية... بطريقة تجعله يبدو كما لو أنه موجود منذ البداية...

رد سعيد مؤكداً أن الأمر يسيرًا، لأن طبيعة المادة السامة معقدة، تجعل مِن الصعب معرفة توقيت وجودها بالجسم، حيث تشير نتائج التحليل إلى أنها استخدمت خلال فترة 48 ساعة، دون إمكانية تحديد ساعَة محددَّة، ثم سأله بتوتر عن الهدف مِن فِعل ذلك؟

تبدلت ملامح حسام على الفور، طلب مِنه بصوتٍ حاد ألا يسأله مرة أخرى...عليه فقط أن يستمع وينفذ.

ارتعش سعيد مِن النبرة... تردد للحظات، لكن أمامه شخص غريب، شخص يعرف كيف يتحكم بالآخرين، كيف يبث الخوف في قلوبهم بدون عناء. لم يكن سعيد أحمقًا؛ فقد علم تمامًا أن الرفض يعني مواجهة عواقب وخيمة.

بعد بضع ثواني مِن صمتٍ ثقيل، تنهد وأومأ برأسه مُوافقًا، مؤكدا أنه سيفعل ذلك، لكن فقط هذه المرة.

ابتسم حسام ابتسامة خفيفة، مؤكدا أن هذا كل ما يحتاجه.

قبل أن يُغادر سعيد السيارة، تساءل عن اسمه، لكن حسام لم يترك له فرصة... نظر إليه نظرةٍ حادة، تلك النظرة التي تحمل في طياتها تهديدًا واضحا، وأجابه بصوت غامض وهو يشير بيده ببرود إلى باب السيارة: "تِقدر تِنزل".

خرج سعيد مِن السيارة وهو في حيرةٍ مِن أمره، يأمل ألا يندم على القرار الذي اتخذه للتو.

عاد سعيد إلى المشرحة، انتابته حالة مِن القلق، وبدأ يفكر فيما يجب عليه فِعله؟ كيف يمكنه المُضيُّ قُدمًا في هذا الطريق المظلم؟

علم تمامًا أن هناك عينة مِن المادة السامة التي عُثِرَ عليها في سلسلة الجرائم الغامضة... فعادتهم دائمًا أنهم يحتفظون بالعينات في قضايا لم تُحل بانتظار لحظة الكشف عن الحقيقة، بل حتى في القضايا المحلولة، لم يتم التخلص مِن العينات؛ بل يحتفظون بها لأشهر طويلة، وأحيانًا لسنوات، كَدَليلٍ صامت لا يُفيد بشيء، لكنَّه جاهز لإعادة فتح أبواب الماضي في أي لحظة.

سار سعيد في ممرات المشرحة المظلمة، شعربأن الجدران الباردة مِن حوله تضغط عليه، تُدرك العبء الثقيل الذي يحمله في قلبه... المشرحة التي هي دائمًا مكانًا للحقائق الصامتة والوجوه الجامدة، أصبحت الآن ساحة لمعركة تدور في عقله... ازدادت الفكرة وضوحًا مع كل خطوة؛ كل ما عليه فعله هو الوصول إلى تلك العينة.

تردد في رأسه صوتًا داخليًا، صوت ضميرٍ خافت، يحاول أن يُقنعه بالتراجع... ماذا لو اكتشف شريف الحقيقة الان؟ ماذا لو انقلب كل شيء ضده؟ لكنه علم جيدًا أن الشخص الذي قابله -حسام- لن يترك له خيارًا، فالرفض لم يكن ضمن الخيارات المُتاحة.

شعر بأنه يخطو نحو المجهول، نحو شيء لا رجعة فيه ولا يعرف عاقبته.

عندما وصلت الجثة إلى المشرحة، قام سعيد بسحب بضع قطرات مِن السم باستخدام إبرة دقيقة، وحقنها في جثة عبد الله دون تردد، متأكدًا مِن أن الأثر سيكون غامضًا بما يكفي لتمويه الحقيقة، وبعدما انتهى، اتصل بشريف ليخبره بوصول جثة عبد الله.

وصل شريف وبدأ في العمل بهدوء وتركيز على الجثة... لم يكن يدري أن كل شيء حوله تم ترتيبه بخطة مُحكمة... مرّت عشر دقائق

قبل أن يأتي عامل المشرحة ويُبلغ شريف أن المدير يُريده في مكتبه، ترك شريف الجثة واتجه إلى مكتب المدير في ارتباكٍ واضح وحيرة مِن ذلك الاستدعاء. عندما عاد شريف مِن مكتب المدير، أخبره سعيد أن الجثة تحتوي على نفس المادة السامة التي وُجدت في الضحايا السابقة منذ قرابة الشهر.

حقق سعيد ما خطط له، لكن الشعور بالذنب والخوف بدأ يخيم على قلبه عندما أدرك أنه أصبح جزءًا مِن لعبة أكبر مِن تخيله.

حاول استعادة أنفاسه والتظاهر بالهدوء بعد إتمام مهمته المَشْؤُومة، رن هاتفه فتردد للحظة قبل أن يجيب، ليأتيه صوت شيماء -أخت شريف- مليئًا بالحيوية والفرح، علم منها أنهم يرتبون حفلاً لشريف بمناسبة عودته للعمل، طلبت منه الحضور وأكدت عليه عدم معرفة شريف عن الحفل، وأنه يجب عليه عدم إخباره.

على الرغم مِن الحماس المصاحب لصوت شيماء، شعر سعيد بكلماتها تضربه كالمطارق... انهار بعد ما فعله للتو، وكل ما رغب فيه هو الهروب مِن المكان، الهروب من كل شيءٍ يذكره بما حدث، حاول أن يُبْقي صوته ثابتًا، رغم ارتجافه الداخلي، وأكد عليها أنه لن يُخبره بالتأكيد، وسيكون متواجدًا في الحفل... شكرته شيماء وأنهت المكالمة.

التفت نحو شريف، وجده مُنهمكًا في إنهاء ما بدأه على جثة عبد الله، تَوَجَّه إليه سعيد وطلب منه بصوتٍ مليء بالتوتر حاول إخفاءه جاهدًا، أن يسمح له بالانصراف مبكرًا لأن لديه موعد هام لا يمكنه تأجيله.

نظر إليه شريف دون أن يُدْرِك ما يحدث خلف هذا الوجه وأومأ برأسه مُوافقًا وسمح له بالانصراف.

خرج سعيد مِن المشرحة، يُرافقه الشعور بالخوف والخيانة، علم أن عليه مغادرة المكان، ليس فقط لينسى ما فعله، ولكن ليهرب مِن الحقيقة التي بدأت تُثْقِل قلبه أكثر مع كل دقيقةٍ تمر.

تنهد في محاولة مِنه للهروب مِن ذكرى الساعات التي قضاها هنا، ولكن هل يُمكنه الهروب حقًا مِن كل ما فعله؟ أم أن ما حدث اليوم سيظل يطارده في كل لحظةٍ قادمة؟

***

في الوقت الحالي...

وصل سعيد إلى المكان المُتفق عليه... حمل بيده عبوةً صغيرة تحتوي على العينة السامة التي طلبها حسام مِنه، عندما وصل حسام، تنهد سعيد ثم قال له بنبرةٍ حادة:

-فاكر المرة اللي فاتت، لما وعدتني إنك مش هتطلب مِني حاجة تاني؟

لم يكن هناك حاجة للكثير مِن الكلمات، تبادل فقط الاثنان نظرات سريعة، كل منهما يحاول قراءة الآخر.

شعر حسام بالاحتقان الداخلي الذي يُلازم سعيد، لكنه حافظ على هدوئه، و حاول إخماد التوتر المتصاعد بينهما قائلًا :

-قولتلك دي آخر مرة يا سعيد.

تردد سعيد للحظة، وقاوم رغبته في الهروب مِن هذا العبء الذي يحمله، لكن في النهاية، أعطى عبوة المادة السامة لحسام.

أخذ حسام العبوة، ولم تترك عيناه سعيد لحظة، حاول قراءة ما يجول في خاطره... ظهر التوتر في حركات سعيد وكلماته.

غادر حسام تاركًا سعيد يفكر ماذا سيفعل حسام بهذه العينة؟ وكيف سيتصرف إذا انكشفت الحقيقة أمام شريف؟

***

جلس الرائد كرم أمام مكتب المقدم عماد، الذي عج بالملفات والأوراق التي تخص سلسلة القضايا القديمة، أخذ يقرأ أوراق القضية بتمعن، ويفحص ملف الضحية الأخيرة "عبد الله"، تيقن أن هناك بين السطور شيئًا مفقودًا، انتظر أن يظهر.

رفع عماد رأسه أخيرًا، وهو ما زال ممسكًا بإحدى الأوراق، ثم قال بصوتٍ هادئ:

-عبد الله هو المفتاح يا كرم... كل الخيوط بتبدأ وتنتهي عنده... الحادثة دي مش عابرة، في حاجة أكبر وراها.

أومأ كرم برأسه مُتفقًا، لكنه لم يستطع إخفاء قلقه، بدأت القضية تتعقد شيئًا فشيئًا، وتُثير في ذهنه أسئلة أكثر مِن الأجوبة المتاحة.

عاد عماد للحديث مرة أخرى ليسأل كرم:

-عملت إيه في ضحى، خطيبته؟

تنهد كرم، ثم أجاب بصوت ملىء بخيبة أمل:

-للأسف لسة مش لاقيينها، أهلها بيقولوا إنها مسافرة لشغل جديد، بس ميعرفوش عنها حاجة تانية.

تجهم وجه عماد قليلاً، بدا واضحًا أن اختفاء ضحى ليس مجرد صدفة، بل لغز يربط الأحداث بشكلٍ غامض... قال بصرامة:

-لازم نوصل لها، اختفائها جزء مهم مِن اللغز ده.

التفت عماد إلى جانب آخر مِن القضية:

-عايز كشف بأرقام التليفونات اللي كلمها أو استقبلها عبد الله يوم الحادث، ويومين أو تلاتة قبلها.

لم يمر وقتٌ طويل حتى عاد كرم ومعه كشف بالمكالمات وضعه أمام عماد وأبلغه أن هناك مفاجأة اكتشفها، فسأله عماد عما توصل إليه؛ رد كرم:

-عبد الله كلم 3 أرقام في يوم الحادث: الأول رقم ضحى، والتاني رقم غريب متسجل باسم واحد ميت.

سأله عماد:

-والتالت؟

رد كرم:

-الرقم الثالث هو المفاجأة

صمت لبرهة، ثم أكمل ...

-الرقم الثالث رقم شريف زهران!

الفصل الثالث عشر

ساد الصمت في الغرفة للحظات... حَدِّق المقدم عماد أمامه متعجبًا مما سمعه "شريف زهران"؟! لم يكن يتوقع أن اسم شريف سيظهر في هذا السياق، مرر يده على جبينه، اعتصرت الأفكار عقله... ماذا يعني هذا الاتصال؟ هل شريف طرفًا في كل هذه الأحداث؟

رفع عماد نظره إلى كرم الواقف أمامه يراقب رد فعله بحذر... نطق عماد أخيرًا، ولكنه حَدَّثَ نفسه بصوتٍ عالٍ:

-ده معناه إن عبد الله كان على اتصال بشريف قبل ما يموت؟ وأخر واحد كلمه كمان!

وقف عماد، تاركًا الكرسي يدور ببطء خلفه، ثم مشى نحو النافذة مُتأملًا حركة الشارع... بدأت تتسلل الشكوك إلى عقله كما يتسلل الظلام إلى الشوارع الآن... بدأ يفكر ما معنى أن يكون شريف جزءًا مما يحدث؟ هل يمكن أن يكون شريف متورطًا في مقتل عبد الله؟ هل هذا كله جزءًا مِن خطة أكبر؟

استدار ببطء، ثم نظر إلى كرم:

-استدعي شريف زهران فورًا... محتاجين نواجهه بالمكالمة دي.

خرج كرم يُنفذ طلب عماد الذي حاول استيعاب هذه المفاجأة، شعر أن هناك شيء أكبر على وشك أن ينكشف... دلف عسكري في نفس التوقيت ليخبر المقدم عماد بوصول الرسام الذي طلبه لرسم وجه الشخص الذي جاء للإبلاغ عن اختفاء عبد الله مُدعيًا أنه مِن طرف المقدم سمير، أعطى عماد الإذن للعسكري لدخول الرسام.

بدأ الرسام بالرسم بعدما وصف له المقدم عماد ذلك الشخص، وبعد مُضي ساعاتٍ وصل إلى وجهٍ يُشبه بالفعل الشخص الذي حضر، أمر المقدم عماد العسكري بتوزيع نشرةً بها صورة الشخص وتكثيف البحث عنه.

بعد ساعات...

جلس شريف زهران في غرفة الاستجواب أمام عماد، ملأ التوتر الجو، لم يكن شريف مرتاحًا، بدا ذلك واضحًا مِن نظراته.

بدأ عماد الحديث، بنبرةٍ تحمل في طياتها الكثير مِن التساؤلات والاتهامات:

-عبد الله كلمك يوم الحادث، ليه يا شريف؟

لم يُبدِ شريف أي تعبير واضح، لكنه رد ببرود:

-معرفش إنت بتتكلم عن إيه.

أخرج عماد كشف المكالمات ووضعه أمام شريف..الورقة البيضاء بدت كنصل سكين على الطاولة، تقطع أي فرصة للإنكار .

استطرد عماد حديثه:

-عندنا مكالمة بينك وبين عبد الله قبل ما يموت مباشرة. إيه اللي خلاه يكلمك؟ وليه ما كلمتش حد عن المكالمة دي بعد ما مات؟

بدأ شريف بالتوتر، لكن ملامحه ظلت ثابتة .

-أنا فاكر ان فيه حد كلمني في الوقت ده تقريبًا، بس الرقم كان غلط.

لم يُصدِّق عماد كلمةً واحدة مما قاله شريف، استطاع أن يرى الكذب في عينيه بوضوح، فتنهد وقال:

-شريف، عبد الله اتقتل... دي مش مجرد حادثة .

ثم اكمل كلمات خرجت كالرصاص دون توقف:

-عبد الله هو القاتل اللي بندور عليه، وأنت اكتشفت ده، وبدل ما تقولنا اللي وصلتله، انتقمت لأخوك مِنه، مش هو اللي قتل شادي، صح؟ وده يثبت إن عبد الله هو القاتل المتسلسل اللي بندور عليه.

ارتعشت يد شريف في تلك اللحظة، وبدأت عيناه تلمعان بشيءٍ مِن الخوف والقلق، حاول أن يتمالك نفسه... أكمل عماد محاولاته بالضغط على شريف لينهار كما هو الحال بداخله، فأمسك بالصورة التي حصل عليها مِن الرسام، صورة الشخص الذي أبلغ عن اختفاء عبد الله، واختفى بعدها ولم يجدوا له أي أثر.

بعدما نظر شريف إلى الصورة، أجاب:

- مين ده؟

سأله عماد:

- يعني أنت متعرفش مين ده متأكد؟

رد شريف:

- أنا أول مرة أشوفه.

نظر عماد إلى كرم، نظرة مفادها أن يتدخل في الحوار؛ للتخفيف مِن حدته، فتحدث كرم قائلاً:

-احنا بنتكلم ودي ياشريف، احنا عشرة عمر، ونعرف بعض مِن زمان، لو اتورطت في حاجة قول وهنساعدك.

صمت لعل شريف يَشْرَعُ في الحديث، ولكنه لم يتحدث، فاستكمل كرم حديثه:

-كدة كدة هنعرف اللي حصل، وساعتها مقدرش اوعدك اننا نعرف نساعدك، انما دلوقتي هنساعدك، قولنا بس اللي حصل.

اقترب عماد مِن الطاولة بعدما فقد الأمل في حديث شريف، ثم نظر مباشرة إلى عينيه:

-إنت عارف يا شريف إني أقدر أقبض عليك دلوقتي.

صمت شريف للحظات، ثم رد بهدوء يائس:

-وأنت عارف ان مفيش اي دليل أو سبب تحتجزني بيه.

نظر عماد إلى كرم نظرةً بائسة، حينها استكمل كرم حديثه بهدوء محاولًا إقناع شريف بالتعاون معهم، وبعدما لم يجد أي مساعدة مِن شريف، نظر إلى عماد نظرة تُلَخِّصُ اليأس الذي وصل إليه.

ساد الصمت مرةً أخرى في الغرفة بعد تلك الكلمات، بدا أن الجميع قد استوعب فجأة حجم ما يحدث... حدق عماد في شريف بنظرة ثابتة، محاولًا أن يَستشف أي لمحة، أي إشارة مِن شريف توضح ما يجول في رأسه... تَيقن بأن الأمر لم يكن يتعلق فقط بمكالمة هاتفية؛ فمن المؤكد أن الموضوع أكبر بكثير مِن ذلك.

نظر الجميع إلى بعضهم البعض نظراتٍ تحمل الكثير مِن الشفقة والحزن على ما وصلوا إليه.

باتت تلك اللحظة بمثابة اعتراف ضمني بأن الأمور لن تَكُن كما كانت مِن قبل.

***

تقدَّم حسام نحو باب المعمل، وعيناه تحملان مزيجًا مِن الأمل والحذر... علم أن هذا اللقاء قد يحمل الإجابة التي طال انتظارها حول المادة السامة، دخل مكتب الاستقبال، وقد غمرته رائحة المعقمات والمحاليل الكيميائية، ثم سأل عن الدكتور فوزي، الذي قد هَاتَفَهُ وحدَّثَه عن المادة السامة... اصطحبه عاملٌ بالمعمل إلى غرفة الدكتور فوزي، الخبير المعروف في السموم، وجده جالسًا خلف مكتبه في غرفةٍ مجاورة، يرتدي معطفه الأبيض، عاقدًا حاجبيه بينما ينظر عبر المجهر إلى شريحةٍ دقيقة، رفع الدكتور فوزي نظره مِن المجهرعندما دخل حسام الغرفة، واستقبله بابتسامة خفيفة، وسرعان ما تبدلت ملامح وجهه إلى جدية عندما قرأ توتر حسام.

نهض الدكتور فوزي، ودعا حسام للجلوس مُشيرًا إلى الكرسي المقابل لمكتبه... أخرج حسام عينة المادة السامة التي قدمها له سعيد مِن جيبه بعناية، والتي تسببت في سلسلة الوفيات المريبة... خفق قلبه بسرعة وهو يُعطيها للدكتور، فهي تحمل معها كل الأجوبة التي لطالما سعى جاهدًا للوصول إليها.

أخذ الدكتور فوزي العينة، ثم اتجه نحو طاولته المليئة بأجهزة التحليل... وقف حسام بجوار الدكتور فوزي، لم تُفارق عيناه شاشة الجهاز، تسارعت نبضات قلبه، فكل لحظة تمر تقترب به مِن حقيقة يُرِيد معرفتها.

حاول حسام السيطرة على أعصابه، فيما أخذت أفكاره تتسابق، هل هذه هي اللحظة التي ستكشف كل شيء؟ هل سينكشف السر الذي دُفِن طوال الوقت؟

بعد فترة مِن الوقت، توقف الدكتور فوزي عن التحليل فجأة... حَدَّق في الشاشة وضاقت عيناه، بدا واضحًا أنه لا يصدق ما يراه... أعاد الفحص مرارًا وتكرارًا، ضاقت عيناه أكثر، وازداد التوتر في ملامحه.

- فيه حاجة غلط

قالها الدكتور فوزي بصوتٍ جاد ومفاجئ.

رفع حسام رأسه بسرعة، واقترب خطوة نحو الدكتور فوزي، محاولًا قراءة أي شيء مِن ملامحه، ثم سأله بصوتٍ متردد عما اكتشف.

بدأ الدكتور فوزي بشرح ما توصل إليه... عندما سمع حسام حديث فوزي، تمتم لنفسه بكلمات وحاول أن يستوعب ما سمع للتو.

غادر حسام المعمل حاملًا لإجابات بحث عنها كثيرًا، بدأ كل شئ يتضح الآن.

جلس شريف داخل عيادة رامي الهادئة متوترًا، عقله ممتلئ بالأفكار المشتتة... استعرض أمامه كل ما حدث، كل كذبة نسجها، وكل محاولة لإخفاء الحقيقة التي أصبحت تتراكم كجبالٍ فوق صدره.

بعد أن علم رامي ما حدث لشريف، نظر إليه قائلا:

- يعني كدة عماد عرف ان عبد الله كلمك يوم الحادثة.

وقف شريف بجانب النافذة، ونظر إلى الخارج دون أن يرى شيئًا، فقد غرق في أفكاره الخاصة، ثم تحدث بكلماتٍ اخترقت الصمت:

- أنا بفكر أعترف بكل حاجة وأسلم نفسي.

التفت إليه رامي، عيناه متسعتان بدهشةٍ، فلم يتوقع كلمات شريف، ورد قائلًا:

- ايه... انت اتجننت... تعترف؟! انت كده بتدمر حياتك.

لم يبتعد شريف عن النافذة، لكنه أدار رأسه ببطء نحو رامي، وأكد عليه أن حياته الآن على وشك الانتهاء على أية حال، إذا واصلوا هذه اللعبة، وسيزداد الأمر سوءًا... وأن عماد لن يتوقف حتى يكتشف كل شيء... الأفضل أن يواجه الأمر الآن بدلاً مِن أن يصبح الأمر أكثر سوء.

أكمل قائلًا كمن يُطمئن نفسه أنهم سيعتبرون الأمر حادثًا وليس جريمة متعمدة، وستتحول القضية إلى قتل خطأ، وليس عمدًا.

أومأ رامي برأسه غير موافق على كلمات شريف:

- الكلام ده لو اعترفت وقتها، انما دلوقتي هيقولولك وخبيت ليه الفترة دي كلها، أكيد الموضوع أكبر مِن كدة، ووقتها مكنوش هيعرفوا بموضوع المكالمة فالموضوع كان هيخلص على طول.

شعر شريف بالاختناق، وأحس أن الغرفة أصبحت ضيقة بشكل لا يُحتمل... ارتفعت أنفاسه وبدأ جسده يهتز قليلاً .

أيقن أن رامي قد يكون محقًا، لكن الخوف مِن العواقب جعله مُترددًا.

علم أن رامي صديقه الوحيد في هذا العالم، الشخص الذي وقف بجانبه في كل محنة، كانت المخاطر أكبر مما يتخيل، والاعتراف قد يعني خسارة كل شيء، لكنه رأى أن المواجهة هي السبيل الوحيد للخروج مِن هذا المأزق الذي يعيش فيه.

لاحظ رامي أن شريف غير مقتنع، فطمْأنه أنه في حالة اتخاذه لهذا القرار لن يتركه، سوف يقف بجانبه كما عَهِدَه دائمًا؛ لإثبات براءته، ولكن طلب مِنه أن يعيد التفكير في الأمر مرةً أخرى.

ملأ الصمت الغرفة للحظةٍ... نظر شريف إلى رامي، ووعده أنه سيمنح لنفسه مزيدًا مِن الوقت للتفكير في الأمر قبل أن يتخذ القرار النهائي.

رفع رامي يده، ووضعها على كتف شريف بلطف، واعدًا إياه أنه سيظل بجانبه مهما كان الأمر صعبًا، ولن يتركه يواجه كل هذا وحيدًا .

أحس شريف بدموع تملأ عينيه، لأول مرة منذ بداية هذا الكابوس يشعر بأن هناك مخرجًا... ربما لم يكن المخرج الذي توقعه، لكن الاعتراف بالحقيقة أصبح يبدو أكثر جاذبية مِن محاولة الهروب إلى الأبد.

استطرد رامي حديثه:

- عايز أقلك بقي حاجة تانية اكتشفتها.

نظر شريف إلى رامي بعيون واسعة، متلهفًا لسماع الأخبار.

سأله شريف بصوت متوتر عما اكتشف؟

تردد رامي للحظة، ثم نهض مِن مقعده ببطء واتجه نحو النافذة، ناظرًا إلى الخارج، استجمع أفكاره قبل أن يرد:

- الشخص اللي بيكلمك بيتصل مِن أكشاك في الشارع.

أكد رامي أنه تعقب جميع المكالمات ووجد أن كل اتصال تم مِن هاتف كشك مختلف.

رد شريف بصوت منخفض:

-أكشاك؟

تقدم رامي نحو المكتب وجلس مقابله، متابعًا حديثه:

-هو شكله ذكي ومش عايز يسيب دليل وراه.

مرر شريف يديه على وجهه، بدأ الضغط يتصاعد داخله مِن جديد... لم يكن يعلم كيف يمكنه التعامل مع هذا الوضع.. الأمور تزداد تعقيدًا... كيف يمكنهم تعقب شخص ينتقل بين الأكشاك؟

استطرد رامي حديثه مُخبرًا شريف أنه تمكن مِن الوصول إلى صورة ذلك الشخص .

رفع شريف حاجبيه، وبدأ الأمل يعود مِن جديد... وسأله بلهفةٍ عن الصورة، وعن كيفية الوصول لها؟

نظر رامي إلى شريف مباشرة، يحمل وجهه جدية واضحة، وأخبره أنه ذهب لجميع الأكشاك ووصل إلى كاميرات المراقبة القريبة منها محاولًا رؤية شخص مشترك بينهم في توقيت المكالمات، حتى توصل إلى صور أعطاها لشريف أثناء الحديث.

مد شريف يده والتقط الصور ليتفاجأ أن هيئته تشبه الشخص الذي التقط له صور مِن كاميرات مراقبة مدخل العمارة... رد متفاجئًا :

- ده نفس الراجل اللي جه يوم الحفلة.

رد رامي بتفكير:

- ده يثبت ان هو الشخص فعلاً.

تنهد شريف محاولًا السيطرة على توتره، ثم رد بيأس:

-بس صورته هنا كمان مش واضحة.

مال رامي بجسده للأمام، ثم أخبر شريف:

- ومين قالك اني موصلتش لصورة واضحة.

اندهش شريف عند سماعه كلمات رامي، وسأل بلهفة:

- فين الصورة دي؟

أمسك رامي بالصورة الأخيرة التي في حوزته، وأعطاها لشريف، الذي صُدِم عندما رآها، متمتمًا:

- مش معقول.

رد رامي:

- ايه ده، أنت تعرفه؟

أجاب شريف:

- دي صورة الراجل اللي سألني عليه عماد النهاردة!

الفصل الرابع عشر

جلس شريف داخل العيادة يُفكر مَن يمكن أن يكون هذا الشخص، وماذا يُريد مِنه... تذكر الصورة التي وضعها عماد أمامه على الطاولة، ظلت تطارده كشبحٍ لا يمكن الهروب مِنه، بدت ملامح الرجل الغامض أمامه تحمل سرًا أكبر مما يمكن تصوره.

نظر إليه رامي محاولًا مساعدة شريف في فك طلاسم هذا اللغز، سأله:

-فكر يا شريف... مين ممكن يكون ورا كل ده؟ وليه؟

بدأ شريف يتحدث ببطء، محاولًا استيعاب كل شيء:

-مش عارف، الفكرة ان الشخص ده أكيد كان بيراقبني

أومأ رامي برأسه مُوافقًا، ثم رد:

-منطقي، ما هو أكيد مكنش عارف انك هتعمل حادثة وتخبط عبد الله يعني.

صمت شريف لثوانٍ، قبل أن ينطق:

-هو صورني وانا بدفن الجثة، طيب ليه؟ ليه يصورني وهو كان ممكن يبلغ عني وخلاص.

فكر شريف للحظات، وبدأت الإجابة تتضح في عقله، ثم أكمل بصوتٍ متردد:

-هو مش عايزني أدخل السجن... هو عايزني أفضل تحت رحمته... كان ممكن يبلغ الشرطة وقتها، لكنه فضل يصورني عشان يقدر يتحكم فيا بعدين.

فكر رامي لوهلة، ثم قال:

-اللي فاهمه أنه مطلبش منك حاجة، صح؟

أجاب شريف والحيرة تُسيطر عليه:

-بالظبط، هو بيلاعبني بس.

أشار رامي إلى الصورة مُجددًا، وقال:

-الشخص ده وراه سر كبير، ولازم يتعرف.

أمسك شريف الصورة بين يديه، ونظر إلى النافذة محاولًا استيعاب ما يحدث، أدرك أن الشخص الذي يُهدده أخطر بكثير مما تخيل، لكنه يعلم أيضًا أن الطريقة الوحيدة للتخلص مِن هذا الكابوس هي مواجهة الحقيقة، مهما كانت مُخيفة.

***

جلس عماد في مكتبه يتصفح بعض الملفات على جهاز الكمبيوتر... ظهر أمامه إشعار لبريد إلكتروني جديد على الشاشة، بدون عنوان واضح أو مرسل معروف... تردد للحظة، لكنه قرر فتح الرسالة، تجمدت عينه على الشاشة عندما رأى فيديو مرفق برسالة قصيرة.

قرأ الرسالة... "شوف بنفسك الإجابة على كل تساؤلاتك"

بدأ الفيديو في العرض... بدت الصورة مهزوزة في البداية، لكن مع الوقت استقرت الكاميرا... ظهر شريف واقفًا في مكانٍ مُظلِم، يسحب جثةً بكل جهده؛ ليقوم بدفنها في حفرةٍ عميقة... كان وجهه شاحبًا مِن الرعب والتوتر.

بدت الصورة واضحة... لم يكن هناك أي شك أن شريف قام بدفن عبد الله.

اجتاحت الصدمة عماد، ولم يُصدِّق ما رأته عيناه، استدرك في تلك اللحظة أن الإجابة التي ظل يبحث عنها طويلاً كانت أمامه طيلة الوقت.

شريف... صديقه الذي حاول مساعدته دائمًا، هو نفسه الذي قتل عبد الله... ولكن كيف حدث هذا؟! فعندما تم العثور على جثة عبد الله لم تكن مدفونة... هل هناك مَن أخرج عبد الله مِن مدفنه؟ ولماذا؟ تزاحمت الأسئلة في عقله، ولم يعرف كيف يتصرف في تلك اللحظة.

استقام عماد بحدة مِن كرسيه بعدما شاهد الفيديو واستدعى كرم ليشاهده... ثم قال له بصوتٍ حاد يملؤه الغضب:

-قلتلك شريف مخبي علينا حاجات كتير.

بعد أن شاهد كرم الفيديو، نظر إلى عماد وقد بدت الحيرة على ملامحه:

- فيه حاجة غريبة

رد عماد وهو يقعد حاجبيه:

-تقصد ان عبد الله مدفون، هي فعلا غريبة

هز كرم رأسه مؤكدًا:

-بالظبط، ازاي ده؟ هل معنى كدة ان شريف دفنه وحد طلع الجثة؟

حدق عماد في الشاشة للحظات قبل أن يجيب:

-أو ممكن شريف نفسه اللي عمل كدة

نظر كرم إليه بدهشة:

-وليه يعمل كدة، هيفضح نفسه بنفسه؟ ده كان دافنه، يقوم يطلع الجثة عشان حد يشوفها!

صمت عماد للحظة، ثم قال:

-مش عارف، ممكن يكون حصل اي حاجة أجبرته يعمل كدة

عمَّ الصمت لحظات للتفكير، ثم استطرد عماد:

-هل فيه علاقة ان الفيديو ده يجيلي بعد ما اكتشفنا ان عبد الله كلم شريف يوم الحادثة؟

صمت عماد قبل أن يتحدث قائلًا:

-الأسئلة دي كلها هنلاقي إجاباتها عند شريف.

***

وقف حسام أمام باب عيادة الدكتور رامي، طرق الباب ودخل بعد أن سَمِعَ صوت رامي مِن الداخل يُرحب به... كان رامي جالسًا خلف مكتبه، وبدا عليه القلق عندما علم هوية حسام، لكنه حاول أن يُخفي ذلك بابتسامةٍ خفيفة.

تحدث حسام بجديّة:

- محتاج اعرف منك شوية حاجات، ومتقلقش مش هاخد مِن وقتك كتير

اومأ رامي برأسه ولكنه لم ينطق بأي كلمة.

جلس حسام وأخذ يتفحص المكتب والغرفة بنظراته، ثم بدأ حديثه مباشرة:

-كنت عايز أعرف شريف بيجيلك ليه؟ ومِن امتي؟ وهل هو فعلا بيعاني مِن مشاكل نفسية؟

ألقي رامي نظرةً سريعة على حسام قبل أن يُخبره بحذر أن شريف يُعاني مِن مشاكل نفسية قديمة منذ وفاة والدته.

استكمل حسام أسئلته:

-طيب، هل في حاجة معينة حصلت معاه مؤخرًا؟ موت والدته عدي عليه فترة.

أجاب رامي:

-الفكرة ان هو علاقته الأسرية بزوجة والده متوترة، وده أثر على حالته النفسية جداً.

-يعني مرات ابوه سبب لغاية دلوقتي في حالته النفسية دي بالرغم مِن موتها؟

حاول رامي الحفاظ على هدوئه، لكنه بدأ يشعر بضغط الأسئلة:

-مدام نرمين ماتت أيوة، بس شريف لسة متأثر بالفترة السيئة اللي عاشها بسببها قبل كدة.

شعر حسام بشيءٍ غير منطقي، وتيقن أن رامي يعرف أكثر مما يقول، لذا قرر أن يضغط عليه بالمزيد مِن الأسئلة:

-شريف شكله بيحكيلك كل حاجة، مفيش أي حاجة غريبة قالهالك الفترة الأخيرة دي؟

-مفيش لأ، هو شريف متوتر بسبب أنه رجع شغله بعد فترة كان بعيد فيها، وده طبيعي وهيتأقلم مع الحياة الطبيعية واحدة واحدة.

بعد إنتهاء الحديث، همَّ حسام بالانصراف مدركًا أن رامي يُخفي الكثير عن شريف، توقف للحظة قبل خروجه والتفت لرامي مهددًا:

- خلي بالك الزيارة اللي جاية هتبقي رسمية.

وانصرف تاركًا رامي في حالة مِن التوتر يتملكه شعورٌ سيئ حيال هذه الزيارة.

***

جلس شريف في منزله يحاول تهدئة نفسه مِن كل الضغوط التي تراكمت عليه خلال الأيام الماضية... سمع فجأة طرقًا عنيفًا على بابه... ارتبك للحظة قبل أن يتوجه نحو الباب ببطء... عندما فتح الباب تفاجأ بالشرطة تقف أمامه بقيادة عماد الذي نظر إليه بعيونٍ مليئة بالاحتقار، قائلًا:

- انت مقبوض عليك بتهمة القتل وإخفاء الأدلة والتلاعب بمسرح الجريمة.

وقف شريف في مكانه مصدومًا، كان على يقين أن هذه اللحظة حتمًا ستأتي، لم تفارق نظراته وجه عماد وهو يُقاد إلى سيارة الشرطة، تمني أن يشرح الكثير لعماد لكن كل ما استطاع قوله بصوتٍ ضعيف:

-عماد... الموضوع مش زي ما أنت فاكر.

غادر عماد المكان دون أن يتفوه بكلمة تاركًا شريف لمصيره المحتوم.

***

جلس سيد بمفرده في المنزل، يُحيط به الظلام مِن كل جانب، زاد صوت الرياح بالخارج مِن شعوره بالوحدة، أخذ يفكر فيما حدث مع شريف... رن جرس الباب فجأة؛ مما جعله يقفز مِن مكانه، فلم يكن ينتظر أحدًا في هذا الوقت.

فتح الباب ليري على الجانب الآخر المحقق حسام واقفًا، تراجع سيد خطوةً للخلف، وهو يُحدق فيه بذهول.

سيد (بصوتٍ متوتر):

-إيه اللي جابك هنا دلوقتي؟ مش خايف حد يشوفك.

تقدم حسام خطوةً داخل المنزل قائلا:

-كان لازم اقلك على اللي وصلته.

***

جلس شريف داخل غرفة التحقيق مضطربًا يُراقب عماد... بدأ عماد الحديث بنبرةٍ غاضبة تزداد حدة مع كل كلمة:

-أنا طلبت منك قبل كدة تقولي الحقيقة ياشريف لو كنت متورط في حاجة... عشان أقدر أساعدك.

نظر شريف إلى عماد بعينين مليئتين بالقلق، وحاول الدفاع عن نفسه:

-مكنتش هتصدقني...

قاطعه عماد بحدة:

-قلتلك لو في حاجة نقدر نحلها مع بعض، بس دلوقتي مش هقدر أساعدك.

شريف متمسكًا بآخر خيط أمل:

- أنا مش قاتل. دي كانت حادثة، أنا مكنتش أعرف عبد الله... خبطته بالغلط، يعني قتل خطأ، وأنا كنت ناوي اجي اقلك بس كنت متردد.

هز عماد رأسه ببطء، ثم قال بمرارة:

- حادثة؟ وقتل خطأ؟

قطع حديثهما دخول عسكري ليبلغ عماد بأن اللواء أيمن يريده في مكتبه...

وقف عماد لبرهة، ونظر إلى شريف نظرة أخيرة مليئة بالحزن:

- كنت عايز أساعدك يا شريف... بس إنت اللي اخترت كدة، هسيبك تفكر في كلام منطقي تقوله عشان اللي انت بتقوله ده ميدخلش عقل عيل صغير.

تنهد ثم أكمل حديثه:

-وأتمني لما ارجعلك تقولي الحقيقة كاملة ياشريف.

ثم استدار وخرج مِن الغرفة، تاركًا شريف غارقًا في صمته وندمه.

***

جلس سيد في حالةٍ مِن الذهول بعد أن استمع إلى ما توصل إليه حسام. لم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة، فقد وقع الكلام عليه كالصاعقة.

نظر إليه حسام بنظرةٍ جادة وقال:

-عارف إن اللي قلته غريب، لكن لازم نواجه شريف بالحقيقة دي.

ارتبك سيد ورد بصوتٍ متلعثم:

-بس... شريف اتقبض عليه دلوقتي.

تَجَمَّد حسام مِن الصدمة وسأله بحدة:

-اتقبض عليه؟ إمتى وازاي؟

أخبره سيد أنه أرسل الفيديو لعماد في لحظة انفعال... صرخ حسام في وجهه قائلا:

-ليه اتصرفت مِن غير ما ترجعلي؟

نهض حسام بسرعة وهو غاضب ومتوتر، واندفع خارج المكان تاركًا سيد خلفه غارقًا في الندم على ما فعله.

***

عاد عماد بعد ساعةٍ إلى شريف، نظر إليه وسأله:

-ها يا شريف، سبتك تاخد وقتك في انك تحسبها، وأنا عارف انك هتحكي كل حاجة

دخل المحقق حسام في نفس اللحظة إلى الغرفة، نظر إلى عماد ثم قال بصوتٍ هادئ لكنه جاد:

-عماد، أنا عارف إنك بتدور على إجابات لأسئلة كتير، وأهم سؤال هتلاقي إجابته عند شريف.

وقف عماد مُتفاجئًا للحظة، ونظر إلى شريف الذي بدا عليه الارتباك والصدمة، ثم نظر لحسام وسأله:

-سؤال ايه؟

"مين القاتل المتسلسل!"... قالها حسام بثقة، ثم نظر لشريف مُستطردًا:

-تحب اقوله، ولا تعترف انت أحسن!

الفصل الخامس عشر

كان عقل شريف مشغولاً بماضيه، ويحمل قلبه جروحًا لا تلتئم، فقد بدأت مأساته منذ ذلك اليوم الذي علمت فيه والدته بالمرض الذي أصابها... لم تكن مُجرَّد أم، بل كانت الحصن الأخير الذي يحميه من قسوة العالم... عندما علم شريف بمرضها وقع عليه الخبر كالصاعقة، حذّره الطبيب مِن أي أخبارٍ سيئة قد تتسبب في تدهور حالتها، فهي تُعاني مِن مرضٍ خطير في القلب.

كان شريف على درايةٍ تامة بأن والدته تحاول أن تبدو قوية، ولكنه يعلم جيدًا الضعف الذي يتمكن منها، فخبرٌ سيئ قد يسلبها حياتها.

وفي تلك الفترة، كان والد شريف -أحمد زهران- قد قابل امرأة أخرى... "ناريمان."

امرأة ذكية، قوية الشخصية، وصاحبة ماضٍ معقد... كانت تأتي إلى الإدارة التي يعمل بها لإنهاء أوراق معاش زوجها المتوفي، قابلته هناك، وتواصلت بينهم الأحاديث، حكت له عن ماضيها، وأنها تزوجت رجل آخر بعد زوجها المتوفي لسنوات، ولكنه تركها؛ لذا بحثت الآن

عن معاش زوجها المتوفي لأنها تحتاج إليه، صُدمت عندما علمت أنها لن تستطيع الحصول عليه؛ لزواجها بعد وفاة زوجها الأول.

أوضحت له أنها كانت تعيش حياة قاسية مع رجلٍ لم يُقَدِّرها أو يصونها، واستغل نفوذه ومنصبه في منعها من العمل في أي مكان بعد الطلاق؛ حتى تضطر للعودة إليه مرةً أُخرى، لكنها لم ترضخ لذلك وفضَّلت أن تعيش في حريةٍ مع - سيد - ابنها مِن زوجها المتوفي.

أشفق عليها زهران، ورأى فيها شريكًا جديدًا لحياته، وسُرعان ما عرض عليها الزواج... لم يكن يعرف أن قراره بالزواج منها سيشعل سلسلةً مِن الأحداث التي ستقلب حياة عائلته رأسًا على عقب.

لم يجرؤ زهران على مواجهة زوجته الأولى بنفسه، لذا لجأ إلى أقرب شخص إليها... ابنها شريف؛ فالعلاقة بينه وبين والدته كانت خاصة جدًا، لم يستطع شريف فعل ذلك... فكيف يُمكنه أن يُخبر والدته بزواج والده مِن امرأة أخرى؟ كلما حاول إخبارها كان يتراجع في اللحظة الأخيرة... رأى أنه يكفي حزنها على إهمال زوجها لها وعدم سؤاله عنها؛ مُعللًا ذلك بنقل عمله إلى مكانٍ بعيد مما اضطره لتأجير سكنٍ بجواره .

مضت الأيام وأصبحت ناريمان زوجة لزهران، وازداد تعقيد الأمور عندما أنجبت شادي، الطفل الذي جاء ليكون أخًا لشريف مِن الأب، وأخًا لسيد مِن الأم.

كانت ناريمان تتصرف دائمًا بأسلوبٍ جاف مع شريف، استمرت في معاملته بأسوأ الطرق، كانت تُظهر له عدم احترام وتُطالب والده بأن يُبعده عن حياتهم الجديدة؛ مما أحدث شرخًا في علاقته بوالده...

لم يعرف كيف يتعامل معها، كان يعتبرها العدو الذي جاء ليدمر سعادته وعلاقته مع والده.

ذات يوم قررت ناريمان إخبار والدة شريف بالحقيقة، بعدما أيقنت أن شريف لن يجرؤ على إخبارها، استغلت يوم الحفل الذي تجمعت فيه العائلة للاحتفال بشادي، والتقطت لهم صورة قامت بإرسالها لوالدة شريف.

لم تستطع والدة شريف تَحَمُّل مارأته، فقد كانت الصورة تجمع أبنائها شريف وشيماء مع زوجة أبيهم وأخيهم وهم في فرحٍ وسعادة... سقطت مغشيًا عليها وتم نقلها للمستشفي.

كانت هذه هي القشة التي قسمت ظهر شريف، فمنذ تلك اللحظة، تحول إلى شخصٍ آخر ملأه الغضب والحقد، ودفعه إلى هاويةٍ مظلمة.

بمرور الوقت، لجأ شريف إلى صديقه القديم، دكتور رامي، الذي يعمل طبيبًا نفسيًا، كانت علاقة شريف برامي قويةً منذ الصغر، ولكنه الآن لجأ إليه باحثًا عن الراحة والهدوء.

***

جلس حسام بهدوء في مكتب عماد، حيث كان يُراقبه بتركيز... علم أن ما سيخبره به الآن سيثير الكثير مِن التساؤلات، بعد لحظاتٍ مِن الصمت بدأ حسام الكلام:

-عماد، في حاجة مهمة لازم تعرفها.

رد عماد:

-الدنيا واضحة خلاص، شريف هو القاتل المتسلسل اللي بندور عليه.

تنهد حسام ثم رد:

-لأ الموضوع مش زي ما انت فاكر.

تعجب عماد ونظر لحسام باهتمام، فاستكمل حسام حديثه:

-هو اصلًا مفيش قاتل متسلسل!

الفصل السادس عشر

بدأ حسام بشرحِ ما توصل إليه واستنتج مِن خلاله عدم وجود قاتل متسلسل... أبحر في ذكريات ما حدث وبدأ الحديث...

عندما بدأ حسام في مراجعة قضايا الضحايا؛ لاحظ عدم وجود رابط مشترك بينهم... أجرى مقابلاتٍ مع أهل وأصدقاء الضحايا ولم يكتشف أي شئ غريب أو أي عداوة قد تدفع أحد للانتقام منهم... مِن هنا بدأ حسام بالتفكير في ماهية المادة التي استخدمت للقتل، لعله يجد أي خيط يمسك به مِن خلال معرفته بخصائص المادة، تحدَّث حينها إلى الدكتور فوزي ليستفسر مِنه عن هذه المادة السامة، وشرح له ما كُتِبَ في تقارير الطب الشرعي، وسأله عن إمكانية استخدام هذه المادة في عمليات قتلٍ بالفعل، فطلب مِنه الدكتور فوزي عينة يطَّلِعُ عليها، ليتمكن مِن الرد على هذه الاستفسارات بشكلٍ دقيق،

وبالفعل حصل حسام على عينةٍ مِن المادة السامة عن طريق سعيد-مساعد شريف-، وذهب إلى الدكتور فوزي الذي اكتشف حقيقة تلك المادة.

لاحظ دكتور فوزي بعد مراجعة تقارير الطب الشرعي أنها مكتوبة بنفس الطريقة ونفس تأثير السم على جميع الضحايا بالرغم مِن اختلاف أعمارهم، كما لاحظ أيضًا تناقض بين ماهية المادة وتأثيرها وبين ما كُتِب في التقارير... كما أن جرعة المادة لم تكن كافية للقتل؛ فالمادة السامة قاتلة بالفعل لكن بجرعةٍ أكبر بكثير مِن الجرعة المكتوبة في التقارير؛ مما أثار شك حسام ودفعه إلى استنتاج أن شريف قد تلاعب بالأدلة لخداع الجميع وإيهامهم بوجود قاتلٍ متسلسل .

***

عندما سمع عماد حديث حسام، تبادر إلى ذهنه سؤالٌ مهم، ما هو الدافع الحقيقي ليفعل شريف ذلك؟

وكيف تم قتل أخوه؟

أجابه حسام بأنه خلال بحثه عن دوافع شريف لفعل ذلك وجد أن علاقة شريف بزوجة أبيه كانت متوترة للغاية، وأن شريف لديه دافعٍ قوي لقتلها، بعدما عَلِم أنها أخبرت والدته بزواجها من أبيه، لم تتحمل والدة شريف الصدمة التي أودت بحياتها...

استغرب عماد مِن هذا الاستنتاج قائلًا:

-يعني شريف أوهمنا إن فيه قاتل متسلسل عشان يقتل مرات ابوه، وينتقم لموت والدته؟

أوما حسام برأسه مؤكدا على كلام عماد الذي أكمل كلامه في ذهول:

-طب وأخوه شادي؟!!

رد حسام:

-أكيد قتله بالغلط، مكنش يعرف إن أخوه هياكل مِن نفس السم اللي حطه لمرات أبوه، وعشان كده شريف دخل في حالة نفسية سيئة...

استكمل عماد استفساراته:

-بس ايه علاقة ده بعبد الله وموته؟

أجاب حسام:

-هو استنتاجي إن عبد الله عرف سر شريف، وممكن يكون هدده، عشان كدة شريف اتخلص مِنه.

-انا ملاحظ ان الموضوع كله استنتاجات، معاك أدلة على الكلام ده؟

صمت حسام لبرهةٍ مِن الزمن، ثم أبلغ عماد أنه لا يمتلك الدليل، ولكن مِن الممكن إخراج الجثث وتحليل رُفاتها لمعرفة حقيقة وجود السم في كل الضحايا مِن عدمه.

ثم أكد على ضرورة مواجهة شريف بتلك المعلومات والضغط عليه لمعرفة ما حدث بالظبط ودوافعه وعلاقة ذلك كله ب(عبد الله).

***

جلس شريف في غرفة التحقيق، بينما وقف المحقق حسام وعماد بجواره... بدت الغرفة هادئة، لكن التوتر كان ملموسًا في وجوه الجميع.

بدأ حسام الحديث بصوتٍ هادئ، لكنه حمل في طياته تهديدًا، حكي لشريف استنتاجاته وقام بمواجهته، وأخبره أن جميع الأدلة تُشير إليه، ثم طلب مِنه الإعتراف بكل ما حدث.

رفع شريف عينيه نحو حسام وعماد، وعيناه ممتلئتان بالصدمة والمفاجأة:

-يعني ايه مفيش قاتل متسلسل!

ثم نظر إلي عماد:

-اومال كنا بندور على مين طول الفترة دي، ومين اللي قتل أخويا وانتقم مِن عيلتي.

تنهد حسام ببطء قبل أن يرد:

-انت اللي خططت لكل ده، وأوهمتنا كلنا إن فيه قاتل متسلسل، واستغليت الظروف عشان تقتل مرات أبوك لكن القدر عاقبك إنك كمان قتلت أخوك بالغلط.

هز شريف رأسه بعصبية رافضًا كل كلمة يسمعها:

-الكلام ده مش صح طبعًا، منكرش اني كنت بكره ناريمان، بس مقتلتهاش، ومقتلتش أخويا.

صمت لفترة وبدأ يالانهيار والصراخ..

-اقتل شادي...لا طبعًا مش ممكن اعمل كده.

تدخل عماد لأول مرة، وقال بصوتٍ حازم:

-طب وعبد الله؟ ليه قتلته وليه دفنته؟ ده بقى في فيديو ليك وانت بتدفنه.

صمت شريف لبرهةٍ مِن الوقت، ثم بدأ في الحديث ببطء، كما لو كان يستعيد تلك اللحظات المؤلمة، وبدأ في سرد ما حدث... أبلغهم أن عبد الله اتصل به في ذلك اليوم، كان صوته مُرتبك للغاية... أخبره أنه يُريد مقابلته لأمرٍ خطير لا يُمكن أن يُفصح عنه عبر الهاتف... لم يفهم شريف حينها ماذا كان يقصد، لكن صوته الجاد أعطى له انطباعًا بخطورة الأمر بالفعل.

أرسل له موقعًا، وسأله شريف عن وصف هيئته وملابسه حتى يتعرف عليه بسهولة.

صمت شريف لوهلة وعض شفتيه بشدة قبل أن يستكمل حديثه:

-لما قربت مِن المكان، ظهر قدامي عبد الله فجأة، ملحقتش أدوس فرامل واتفاداه للأسف، نزلت لقيته مات.

سأله حسام:

-وليه مبلغتش ساعتها..على روايتك دي، ده قتل خطأ.

توقف للحظةٍ قبل أن يُجيب:

-مكنش حد هيصدقني ان حد كلمني في التليفون وروحت اقابله فخبطته صدفة؛ أكيد هيقولوا اني أعرفه واني خبطته قصد.

استفسر مِنه عماد:

-وايه اللي عرفك ان هو عبد الله؟

رد شريف:

-مِن هدومه، لما قالي وصف هدومه كانت بالظبط اللي لابسه.

ضيق حسام عينيه وهو يدرس تعابير وجه شريف:

-وانت عايزنا نصدق بقى ان الموضوع كله كان صدفة؟

رد شريف بأسف:

-عارف انها صدفة غريبة، بس ده بيأكد كلامي اني مبلغتش وقتها عشان محدش هيصدقني.

صمت لبرهةٍ مِن الوقت، ثم استكمل حديثه:

-بس ده اللي حصل فعلًا، عبد الله كان عايز يقولي حاجة مهمة، وأنا معرفوش قبل كدة، ومعرفتش أي معلومات عنه أصلا الا لما وصلنا في التحقيقات لبياناته.

نظر عماد إلى حسام، وهمَّ بالخروج قائلًا لشريف:

-هنسيبك تعيد حساباتك تاني، وتفكر في كلامك.

صرخ شريف بأعلى صوت:

-أفكر في ايه، أنا قولت الحقيقة، ده اللي حصل فعلًا.

لم يُعلِق عماد على كلامه، بل نظر لحسام وأشار إليه وخرجوا سوياً.

بعدما وصلوا المكتب نظر عماد إلى حسام ثم قال بصوتٍ مُتشكك:

-رأيك ايه في كلام شريف، هل فعلا خبط عبد الله صدفة، ومكنش فيه نية لقتله؟

تنهد حسام وقال ببطء:

-ممكن يكون كلامه صح، بس لو كده يبقي فيه حاجة غامضة أكبر كانت بتحصل، وفيه شخص ورا كل اللي حصل ده.

رد عماد:

- احنا قدام احتمالين، ممكن شخص تاني خرَّج جثة عبد الله بعد ما شريف دفنها... وفي لعبة ممكن تكون بتتلعب على شريف... والشخص ده اللي بعتلي الفيديو عشان يورطه.

تنهد عماد وصمت لبرهة ثم أكمل:

- واحتمال تاني يكون شريف هو اللي مخطط لكل ده... أصل مين هيغير في تقارير الجثث عشان يقول انها ماتت بالسم غيره...

استوقفت الجملة الأخيرة حسام، وأنارت فكرة داخل عقله، وتذكر شيئًا مِن الماضي...

فاستكمل حسام حديثه دون أن يترك له فرصة للتفكير، قائلًا له أن كل ما عليه فعله هو وضع القليل من السم في جسد الضحية... بطريقة تجعله يبدو كما لو أنه كان هناك منذ البداية..

رد سعيد مؤكداً أن الأمر يسيرًا، لأن طبيعة المادة السامة معقدة، تجعل مِن الصعب معرفة توقيت وجودها بالجسم، حيث تشير نتائج التحليل إلى أنها استخدمت خلال فترة 48 ساعة، دون إمكانية تحديد ساعَة محددًة.

عاد حسام إلى الحاضر، وأخبر عماد أنه علم مَن قد يكون تلاعب بالأدلة وأوهم الجميع بما فيهم شريف بوجود السم في الجثث، ثم خرج مِن المكتب تاركًا عماد في حالة مِن التشتت.

تَوَجَّه حسام إلى المشرحة ليواجه سعيد... تَمَلَّكت الشكوك عقله، وكان عليه أن يتأكد من ظنونه .

دفع باب غرفة المعمل دون طَرْقِه، فوجد سعيد منهمكًا في العمل، رفع سعيد رأسه ورَحَّبَ بحسام بابتسامةٍ متكلفة، لكن التوتر بدا واضحًا في عينيه.

لم يُضيّع حسام الوقت، تَوَجَّه نحو سعيد مباشرةً، متجاهلًا دعوته للجلوس:

-سعيد، إحنا اتقابلنا قبل كده، وطلبت منك طلب شكله مكنش غريب عليك.

ارتبك سعيد للحظة، ثم حاول التماسك قائلاً:

-أنا مش فاهم تقصد إيه؟

اقترب مِنه حسام، ناظراً في عينيه مباشرةً، وقال بصوتٍ حازم:

-انت ليه أوهمت شريف وأوهمت الكل إن الجثث ماتت بالسم؟

صمت سعيد للحظة، وحاول التهرب قائلاً:

-وليه أعمل كده؟

رفع حسام حاجبيه بشدة، ثم قال بلهجةٍ أكثر حدة:

-السؤال ده إجابته عندك، ومتحاولش تنكر عشان كل الأدلة بتشاور عليك ...

رد في توتر:

-أدلة ايه؟

-التقارير اللي أنت بدلتها مثلًا... ساعدنا وأوعدك نخليك شاهد في القضية بس تعرفنا ليه عملت كده؟!

بدأ التوتر يظهر على وجه سعيد بوضوح، وأخذت الرعشة تسري في جسده، جلس أخيرًا على الكرسي، وتنهد قبل أن يُجيب:

-أنا مكنتش عايز أعمل كده... بس كان عندي ظروف صعبة جدًا، وهو استغل ده وعرض عليا مبلغ كبير مقابل اني أغير التقارير وأحقن الجثث بالسم...

تقدم حسام نحوه بجدية أكبر، وسأله مباشرة:

-تقصد مين؟

ابتلع سعيد ريقه بصعوبةٍ قبل أن يرد بصوتٍ خافت:

-عبد الله.

اتسعت عينا حسام في دهشة:

-عبد الله! ازاي؟

ثم استكمل قائلًا: وليه كان بيعمل كدة؟!

رد وعيناه تحدقان في الارض:

- معرفش تفاصيل اللي كان بيتطلب مني كنت بعمله مِن غير ما اسأل.

صمت للحظات ثم أكمل أن عبد الله جاء إليه في المشرحة بعيناتٍ مِن السم وطلب مِنه حقن الجثث بها مقابل مبلغ مالي كبير،

ومع كل جثة تدخل دائرة لعبة القاتل المتسلسل كان يأتي ليعطيه المزيد مِن المال... وفي اليوم الذي أُحضرت فيه الجثة الثالثة والتي وقع عليها الاختيار لتشارك في اللعبة... جاء عبد الله كالعادة ليعطيه المال قبل أن يبدأ بحقنها كما اتفق معه مُسبقًا، وعند مغادرته الغرفة تَعثر وكاد أن يقع، فتشبث بالسرير مما ترك بصمةً له على طرف قدم الجثة.

قطع حسام استرسال سعيد ليسأله:

- وليه ممسحتش بصماته؟

أجاب سعيد:

- منتبهتش إنه لمس الجثة، دكتور شريف هو اللي اكتشف البصمات.

نظر إليه حسام نظرةً فاحصة:

- وطبعًا انت استغليت ثقة شريف فيك واضطرابه النفسي وضحكت عليه.

لم يستطع سعيد الرد، بل ظل صامتًا؛ خجلًا مِن خيانة زميله وصديقه...

خيَّمَ الصمت على المكان، وتضاربت المشاعر داخله؛ ما بين توتر وندم سعيد، وحيرة حسام التي تزداد يومًا بعد يوم... فكل الخيوط كانت تقود إلى شخصٍ واحد "عبد الله"... الذي لم يَعُد على قيد الحياة.

الفصل السابع عشر

اتصل حسام بعماد؛ ليخبره بأن سعيد -مساعد شريف- هو الشخص الذي تلاعب بالأدلة وخدع الجميع، فعلِمَ مِنه أنهم سيتوجهون للمكان الذي وقعت فيه جريمة قتل عبد الله؛ وذلك لتمثيل الحادث.

طلب مِنه إرسال بيانات المكان ليلحق بهم.

عندما وصلوا إلى المكان، وقف شريف بجانب عماد وحسام عند موقع الجريمة... بدا المكان هادئًا بشكلٍ غير طبيعي، كان شارعًا مهجورًا ومُظلِم تُحِيطهُ أشجارٌ تتمايل بهدوء...

وقف حسام يتأمل المكان بعينيه... كل زاويةٍ بدت كأنها تحمل جزءًا مِن الحقيقة... التفت إلى شريف الذي بدا شاحبًا ومضطربًا، وطلب مِنه بصوتٍ هادئ:

-احكي لي اللي حصل في الليلة دي... بالتفصيل.

رفع شريف عينيه نحو الشارع المظلم أمامه، وكأن الذكريات بدأت تعود إليه ببطء، بدا أنها رياحٌ مُعاكسة يَصْعُب عليه استرجاعها .

ظهر توتره في حركة يديه التي بدأت ترتعش قليلاً... حاول السيطرة على صوته عندما قال:

-عبد الله اتصل بيا... طلب مِني أقابله في مكان قريب مِن هنا...

لمح حسام التوتر في نبرة صوته وسأله سريعاً، مُقاطعًا تَدَفُق أفكاره :

-المكان فين بالظبط ؟

رد شريف:

-قريب جدا ...

شرح شريف أن المكان نهاية الشارع الموازي للشارع الحالي، ولكن هذا الطريق مهجور لكثرة حوادث السرقة به فالجميع يخشاه ويتجنبه.

سأله حسام:

-وانت مشيت مِنه ليه؟

ابتلع شريف ريقه بصعوبة، ثم تابع بصوتٍ أقرب إلى الهمس :

-كنت ماشي مِن الطريق الرئيسي، لكن كان في عربية متعطلة وقافلة الطريق، فاضطريت أغير الاتجاه... عبد الله كان مستنيني، وبيستعجلني... مكنش عندي وقت .

توقف شريف للحظة... بدا أنه غارق في ذكرى ذلك اليوم، ضغطت عليه مشاعره، ثم تابع بصوتٍ يَشُوبهُ التوتر:

-وأنا ماشي... عبد الله ظهر فجأة قدامي، كأنه اترمى على العربية، حاولت أتفاداه بس ملحقتش للأسف.

ارتفع صوت حسام فجأة، فقد بدا أنه انتبه لشيءٍ ما :

-عبد الله كان بيجري؟ ولا كان بيعدي الطريق عادي؟

رفع شريف رأسه بدهشةٍ، فلم يكن قد لاحظ هذا مِن قبل... بدا للحظة تائهاً، لكنه سُرعان ما استعاد تركيزه وقال ببطء:

-أيوه... كان بيجري...

ثم توقف لحظةً لتذكر المشهد...

-كان جاي مِن هنا بسرعة

أشار إلى شارعٍ مُظلِم جانبي... ضاقت عينا حسام وهو ينظر إليه... استنتج أن عبد الله خرج من هذا الشارع مُسْرعًا، اقترب مِن شريف وسأله:

-والشارع ده لو مشيناه يوصلنا للمكان اللي كان المفروض تتقابلوا فيه؟

أومأ شريف برأسه مُوافقًا على كلام حسام...

سادت لحظةٌ مِن الصمت، كانت أفكار حسام تتحرك بسرعة وهو يحاول ترتيب القطع المتناثرة في عقله، الشخص الذي كان ينتظر شريف هو عبد الله، لكن... شيءٌ آخر حدث في هذا الشارع... شخصٌ ما كان يُطارد عبد الله، شخصٌ كان يُخِيفهُ لدرجة أنه اضطر للهرب، ليخرج في النهاية للطريق السريع حيث صدمه شريف.

قال حسام بتفكيرٍ عميق، محاولًا ربط الخيوط ببعضها البعض :

-عبد الله كان بيهرب مِن حد... حد كان بيطارده لحد ما خرج للطريق السريع... ساعتها جيت إنت وخبطته.

التفت حسام نحو عماد، الذي كان يتابع الحوار بصمتٍ، وسأله:

-لما لقيتوا عبد الله اكيد مشطتوا المكان... مكنش في أي حاجة تدل على وجود شخص تاني؟

رد عماد:

-مش ده المكان اللي لقينا فيه الجثة أصلًا!

تعجب حسام مما سمع، ونظر لشريف الذي أكد كلام عماد، عاد حسام بعينه إلى عماد قائلاً:

-خلّي رجالتك يدوروا في المنطقة كويس... دوروا على أي حاجة، أي دليل... لازم نعرف مين كان بيطارد عبد الله.

عاد حسام بنظرهِ إلى الشارع المظلم، شعر أن هذا المكان يحمل الإجابة التي يبحث عنها.

طلب حسام مِن شريف استكمال ما حدث ليلة الحادث... عاود شريف حديثه قائلًا:

-رجعت العربية أدور على أي حاجة تساعدني ادفن عبد الله.

قطع حسام حديث شريف ليسأله:

-دفنته فين بالظبط؟

أشار شريف إلى مكانٍ على بُعد أمتارٍ قليلة، ذهب إليه حسام وعماد، فوجدوا أثرًا للحفرة بالفعل.

سأله حسام:

-وعملت ايه بعد كده

-كلمت رامي عشان كنت متوتر جدًا... قالي أعدي عليه في العيادة عشان أحكي له اللي حصل بالظبط، ورجعت بعدها البيت.

قطع الحوار اتصالٌ هاتفي لحسام، وعندما أنهى الاتصال استأذن وانصرف على الفور.

بعد فترة مِن الوقت، حضر عسكري إلى عماد ليخبره أنهم وجدوا هاتف وساعة يد، أمسكهم عماد وبدأ يتفحصهم ليأتي صوت شريف مخبرًا إياه أنه يعلم صاحب هذه الساعة!!

***

كان رامي جالسًا داخل عيادته عندما فُتِحَ الباب فجأة، ارتبك للحظةٍ ثم اعتدل في جلسته ونظر بوجهٍ غاضب:

-انتي ايه اللي جابك هنا دلوقتي؟ مش متفقين تختفي لغاية مالدنيا تهدي.

أغلقت ضحى الباب خلفها، وتقدمت خطوةً للأمام، وهي تُجيبهُ بنبرةٍ حازمة:

-الموضوع خلص يا رامي... شريف اتقبض عليه، وكل حاجة حصلت زي ما خططت بالظبط... فين الفلوس اللي اتفقنا عليها .

نظر إليها مُتظاهرًا بالموافقة وتلاعبت ابتسامة خبيثة على وجهه، بينما قال لها بصوتٍ مليءٍ بالخداع:

-خلينا نتقابل في المكان بتاعنا، عشان خطر نتكلم هنا... اسبقيني على هناك وأنا هجيلك.

راقبت ضحى تعابيره بارتباكٍ بسيط، لكنها لم تَكُن تَمْلُك سوى الموافقة.

انصرفت ضحى مِن عيادة رامي متجهةً إلى ذلك المكان الذي حدثها عنه رامي... فجأة، أصبح العالم في عينيها ظلامًا دامسًا أشدُّ مِن ظلام الليل المُحيط بها؛ لقد غَمَّى أحدهم عينيها وأجبرها على دخول سيارته...

الفصل الثامن عشر

غرفةٌ مجهولة... مكانٌ مُحاط بجدرانٍ رماديةٍ باهتة، إضاءةٌ خافتة تصدر مِن مصباحٍ وحيد مُعَلَّق في السقف يتأرجح قليلًا مع تيارات الهواء الباردة... تلك التي تنساب عبر النافذة المفتوحة جزئيًا لتسري بعروق "ضحى" الجالسة على كرسي خشبي يتوسط الغرفة...

بدأت تتحسس رأسها لتجد آثار جرحٍ بسيط، يبدو أنها فقدت الوعي لفترة قصيرة.

أخذت نفسًا عميقًا، وبدأت تتفحص المكان مِن حولها، وقع بصرها على رجل يقف في زاوية الغرفة، ينظر إليها بهدوءٍ تام... كان يُقَلِّبُ بين أصابعهِ جهاز تسجيلٍ صغير.

حاولت الوقوف، ولكنَّ ساقها لم تُسْعِفُها، فتشبثت بمسند الكرسي، وقالت بصوتٍ منخفض:

- انت مين؟

أشار إليها المحقق حسام بيده لتجلس مرةً أخرى... استجابت ونظرت حولها بحذر، تسارعت نبضات قلبها، وتزايدت أفكارها المتلاحقة في محاولة فهم ما يَحْدُث.

بدأ حسام في تشغيل تسجيل صوتي، سمعت مِن خلاله صوتها وهي تتحدث مع رامي منذُ قليل ...

الموضوع خلص يا رامي... شريف اتقبض عليه، وكل حاجة حصلت زي ما خططت بالظبط... فين الفلوس اللي اتفقنا عليها .

عندما سمعت ضحى صوتها تفاجأت، واستفسرت قائلةً:

- انت بتراقبني؟!

رد حسام:

- مش موضوعنا، المهم انك لازم تحكيلي كل حاجة بالتفصيل

ردت ضحى:

- أحكي ايه بالظبط، انا معرفش...

قطع حديثها حسام بحدة وأفزعها بصوتٍ عالٍ يَنُم عن غضبه :

-اتكلمي أحسن ما أدفنك مكانك...

تلعثمت ضحى وتراجعت كلماتها أمام نبرة حسام القوية، شعرت بتوترها يزداد، لكنها لم تجد مهربًا مِن ضغطه عليها، فبدأت في الاعتراف قائلة:

-حاضر، هقولك كل حاجة... بس اوعدني إنك هتخرجني مِن هنا بأمان.

نظر إليها حسام ببرود، ورد بنبرة حازمة:

-ده يتوقف على كلامك...

تنفست بعمقٍ محاولةً استجماع قوتها، وبدأت تحكي...

***

كان رامي يُسَّجِل جلساته مع المرضى، ويستغل المعلومات التي يبوحون بها، مستخدمًا تلك الأسرار في ابتزازِ مَن يملك المال مِنهم، لكنه كان يفعل ذلك بحذرٍ شديد، بحيث لا يُثير شكوكهم .

كان يجمع مِنهم بعض التفاصيل، ثم يبحث أكثر عنهم حتى يحصل على معلوماتٍ أعمق، وليبقى بعيدًا عن دائرة الشبهات؛ تولى عبد الله مهمة التواصل المباشر مع المرضى والضغط عليهم للحصول على الأموال، مقابل نسبةً يحصل عليها هو أيضًا... غير أن رامي كان يختار ضحاياهُ بعناية؛ فهو يتجنب مَن يُمكن أن يُمثل خطرًا عليه، ويتعامل فقط مع مَن يَسْهُل السيطرة عليهم دون الخوف مِن ردود أفعالهم.

استمر الوضع على هذا المنوال، إلى أن تزايدت جشاعة عبد الله وقرر العمل بمفرده، مُتجاهلًا تحذيرات رامي من الابتعاد عن فئاتٍ معينة مِن المرضى، أولئك الذين قد يُشكلون خطرًا عليهم.

جرَّب عبد الله ذلك عدة مرات ونجح، دون أن يعلم رامي شيئًا، حتى وصل إلى حالة تسببت في قلب الأمور رأسًا على عقب، وهي حالة السيدة ناريمان، زوجة والد شريف، والتي كانت ضمن الفئة التي حذَّر رامي مِن الاقتراب مِنها .

لم يلتزم عبد الله بتحذيرات رامي، وأخذ التسجيلات المتعلقة بها وبدأ بابتزازها... سُرعان ما أدركت ناريمان أن المعلومات التي تسربت

عنها مصدرها العيادة، فتَوَجَّهت إلى رامي وواجهته بحدة... حاول رامي إقناعها بأنه لم يفعل شيئا، لكنها لم تُصدقهُ... حينها بدأ رامي يشُك في عبد الله، وبعد التحري تأكد مِن صحة شكوكه .

بدأت العيادة مع الوقت تتعرض للضغوط مِن جهاتٍ مختلفة، مِن ضرائب وتراخيص، إضافةً إلى تهديدات ناريمان المستمرة بأنها ستكشف كل شيء وستغلق العيادة إذا لم يتوقف عن ابتزازها...

وفي يوم مِن الأيام، بينما كانت ناريمان بالعيادة، شاهدت شريف... عادت إلى غرفة رامي مُسرعة لتخبره أن ابن زوجها بالخارج ولا تُريده أن يراها... أدرك رامي حينها أنها زوجة والد شريف، تلك المرأة التي طالما أخبره شريف أنه يكرهها ويُحمِّلُها مسؤولية وفاة والدته... في تلك اللحظة، لمعت في ذهن رامي فكرة الانتقام، وقرر استغلال شريف للتخلص مِن ناريمان ومِن تهديدها وأذيتها المتلاحقة له...

بدأ بزرع فكرة الانتقام داخل شريف إلا أن شريف لم يستسلم لهذه الأفكار، فقرر رامي التخلص مِن ناريمان وجَعْل شريف يبدو وكأنه القاتل.

كان شريف يحكي عن عمله دائمًا، وعن ارتفاع حالات الانتحار وحالات الموت الغامضة، فخطرت لرامي فكرة إيهام الجميع بوجود سم قاتل، وأن هناك قاتلًا متسلسلًا وضع الخطة واتفق مع عبد الله، واستعان بمساعد شريف لنشر فكرة السم والقاتل الوهمي.

وحينما صدَّق الجميع تلك الكذبة... نفذَّ خطته وتخلص مِن ناريمان بنفس السم... ولكن شاء القدر أن يموت شادي أيضًا معها عن طريق الخطأ.

تَمَكَّن رامي مِن تنفيذ خطته، وعندها طلب عبد الله المزيد مِن المال... رفض رامي إعطاءه أي أموال وأخبره أنه مَن تسبب في كل ذلك وهدده بأن لديه ما يُدينه ويُدْخِله السجن إذا فكر في خيانته.

شعر عبد الله بالغضب ورَغِبَ في الانتقام، فقرر أن يُخْبِر شريف بحقيقة ما يفعله رامي .

في اليوم الذي كان عبد الله ينوي لقاء شريف، علمت ضحى بالأمر وتفاصيل المقابلة، فاتصلت برامي وأخبرته بما ينوي عبد الله فعله، فذهب إليه رامي مُسْرعًا للتخلص مِنه قبل أن يفضح أمره، وعندما وصل نَشَبَ شجارٌ بينهم، وأحس عبد الله بنية رامي للغدر، فبدأ يركض هربًا مِنه، وحدث ما لم يكن بالحسبان فقد دهس شريف عبد الله أثناء هروبه مِن رامي الذي كان يُريد قتله، رأى رامي في هذا الحدث فرصةً لصالحه، لكنَّه كان قلقًا بشأن شيءٍ واحد؛ فقد اكتشف فُقْدان ساعته عندما عاد إلى العيادة... أدرك أن ساعته قد سقطت في موقع الحادث أثناء ملاحقته لعبد الله... عاد ليبحث عنها دون جدوى... فقرر نقل الجثة إلى موقعٍ آخر كخطوةٍ تحميه مِن ظهور أي دليل قد يكشف وجوده في مكان الحادث، وأبلغ عن الحادث ليورط شريف في الأمر.



عندما انتهت ضحى مِن الحديث، حذَّرها حسام مِن مقابلة رامي لأنه ينوي الغدر بها، لم يبدو أنها اقتنعت لكنها أومأت برأسها مُعلنةً الموافقة على الحديث.

علم عماد مِن شريف أن الساعة التي وُجدت تخص رامي، مما أثار في ذهنه تساؤلاتٍ كثيرة، كيف وصلت الساعة إلى هناك، وما معنى هذا الاكتشاف؟ هل يُمكن أن يكون رامي هو المسؤول عن كل ما حدث؟ هل هو مَن كان يُطارد عبد الله؟ وماذا عن الهاتف؟

عاد عماد إلى المديرية غارقًا في أفكاره... طلب مِن كرم فحص الهاتف الذي عثروا عليه في موقع الحادث، وبعدما تم فتح الهاتف، كانت المفاجأة... اكتشف كرم أنه يخص عبد الله، وأن الرقم المجهول الذي كان مُسجلًا باسم شخص ميت ظهر في الهاتف تحت اسم دكتور رامي، عندها قرر عماد التحرك للقبض على رامي، آملاً في إيجاد إجابات شافية مِنه... لكن عند وصوله إلى منزل رامي وجد الباب مفتوحًا... تحرك للداخل، فصُدم بمشهدٍ مُرَوِّع...

حيث وجد رامي مُعَلَّقًا بحبلٍ يتدلى مِن السقف في منتصف الغرفة، جسده يتأرجح بلا حياة.

الفصل التاسع عشر

في مكتب المحقق حسام... جلس عماد يستمع لحسام وهو يُخبره بما عَلِمَهُ مِن ضحى وأكد له أن رامي هو مَن كان وراء كل تلك الأحداث، وأثناء حديثهما دخل شخصٌ الغرفة بعد طرقه للباب، كان ساعي المكتب يُقدم القهوة التي طلبها منذ دقائق لعماد .

وضع القهوة أمام عماد ورفع رأسه لتقع عينا عماد على وجهه... تجمدت ملامح عماد للحظات في حين ارتبك الساعي... لم يُدرك عماد ما يحدث حوله... فهذا الرجل هو مَن جاء ليُبلغ عن اختفاء عبد الله!!!

سيطر الشك على عقل عماد وبدأ يتذكر تصرفات حسام واهتمامه الزائد بتلك القضية بدايةً مِن طلبه للالتحاق بفريق التحقيق... وصولاً إلى اختطافه ضحى وإجبارها على الاعتراف...

تَدَخَّلَ حسام في تلك اللحظة وأوضح لعماد أن سيد-ابن السيدة ناريمان- كان قد اتصل به؛ بحُكم علاقته بوالده -رحمة الله عليه- وطلب مِنه التحقيق في مقتل والدته وشقيقه، وأخبره بالشك الذي يُراوده تجاه شريف-ابن زوج والدته أحمد زهران -

بدأ حسام بمراقبة شريف فعليًا، وطلب مِن مساعدٍ له أن يُراقبه كظله، ويرسل له أي تفاصيل مهمة، ويصوِّر أي شيءٍ يفعله أو أي شخصٍ يُقابله...

حتى جاء ذلك اليوم الذي وقع فيه حادث عبد الله، حيث قام مساعد حسام بتصوير شريف وهو يدفن عبد الله بعدما صدمه بسيارته، أرسل حسام الفيديو إلى سيد الذي أراد أن يُقدمه للشرطة حتى يتم القبض على شريف، لكن حسام أبلغه بأن الفيديو وحده لن يكون كافيًا لحل لغز مقتل والدته وشقيقه، فالفيديو يوثِق حالة الدفن فقط، كما أن الحادث سيعتبر قتل خطأً ولن يؤدي إلى عقوبة، ثم أشار إلى أن كشفهم عن الفيديو سيجعل شريف يعلم أنهم يراقبونه، وسيجعله أكثر حذرًا.

حينها قرر حسام وسيد تنفيذ فكرة إيهام شريف بأن عبد الله قُتل بنفس السم المستخدم في الجرائم السابقة، ليوحي له بأن هناك مَن يُقلده في الجرائم .

هذه الحيلة قد تتسبب في إرباكه وتدفعه للوقوع في الخطأ، مما قد يؤدي إلى العثور على دليلٍ ضده... كما أراد سيد أن يلعب لعبةً نفسية مع شريف عبر استخدام الفيديو كورقة ضغط لدفعه للاعتراف.

بدا على عماد الحيرة والاندهاش مما سمعه، وسأل حسام كيف لم يعرف بأن الجثة نُقلت لمكانٍ آخر رغم مُراقبة مساعده لشريف، فأجاب حسام بأن الفيديو لم يكشف الموقع، وأنهم في البداية لم يكن هدفهم التركيز على قتل عبد الله، بل تركوا الأمر للشرطة وتحرياتها ومُتابعة نتائج التحقيقات، ثم أضاف أنه لم يتدخل في تلك

القضية إلا بعد أن توصل لمعلوماتٍ عن الضحية -عبد الله- فأرسل ساعي مكتبه ليُبلغ عن اختفاءه وفي تلك اللحظة أُخرِج حسام صورة عبد الله مِن الملف وتظاهر الساعي أنه تعرَّف عليه...

***

وما إن هَمَّ عماد بسرد التفاصيل، قُطع الحوار بينهما مُجددًا بدخول عسكري والذي أبلغ المقدم عماد بأن هناك رجلاً بالخارج يطلب مقابلته، وناوله كارت توصية... ألقى عماد نظرة عليه فوجد أنه مِن المقدم سمير، زميله مِن أيام الجامعة ويعمل حاليا في إدارة مكافحة المخدرات.

استأذن عماد مِن حسام ليعرف ما يريده هذا الرجل، فأومأ حسام بالموافقة وأكد أنه لا مانع بكل بتأكيد، ثم أمسك بملف القضية وبدأ في تصفحها حتى ينتهي عماد.

سُمح للرجل بالدخول بإشارةٍ مِن عماد، دخل مُسرعًا، بدت عليه ملامح التوتر، عرَّف بنفسه وأخبر عماد أنه مِن طرف المقدم سمير، وذكر أن صديقًا مقرب له اختفى منذ يومين ولم يظهر أي أثر له .



أكد حسام أن هذا كان ضمن خططهمم لإرباك شريف.

لم يقتنع عماد بما سمعه للتو مِن حسام، وأحس بأن هناك حلقاتٍ مفقودة في تلك القصة، ولكن لم يُظهر ذلك لحسام... بل انصرف مُغادرًا المكان وبداخله العديد مِن التساؤلات، والكثير مِن الإصرار على معرفة الحقيقة.

الفصل الأخير

عاش أحمد زهران -والد شريف- لحظاتٍ حرجة بالمستشفى، سيطرت عليه مشاعر مُختلطة مِن الندم والاعتراف... طلب رؤية ابنته شيماء رغم تدهور حالته الصحية، ليخبرها بسرٍ دفين أخفاه لسنوات ...

عند حضور شيماء... بدأ يحكي لها أنه وقت زواجه مِن ناريمان، كانت حاملًا في شهرين مِن طليقها، لكنها فضلت كتمان الأمر، وعدم إخبار أحد خوفًا مِن سطوة طليقها، مُفضلةً أن يحمل طفلها اسم أحمد زهران .

أعلن زواجهم أمام الجميع... ولكن فيما بينهم انتظر حتى أنجبت، ثم عقد عليها بالفعل، وسَجَّل -شادي- باسمه.

ظهر خوف زهران جليًا بين سطور كلماته مِن أن يٌدفن السر معه في قبره، فأصرَّ على إظهاره قبل أن يُفارق الحياة.

كان حسام يقود السيارة بصحبة سيد، حين سأله سيد عن السبب الذي دفعه إلى زرع جهاز تسجيلٍ في مكتب رامي، فأخبره حسام أن الشك بدأ يتسلل إليه عندما ذكر رامي اسم "نرمين" بدلاً مِن الاسم المتداول لوالدته "ناريمان ..."

أدرك حسام حينها أن رامي يعرف أكثر مما ينبغي فلا أحد يعلم اسم ناريمان الحقيقي سوى قلة قليلة ...

استكمل حسام أسئلته:

-طيب، هل في حاجة معينة حصلت معاه مؤخرًا؟ موت والدته عدى عليه فترة.

أجاب رامي:

-الفكرة ان هو علاقته الأسرية بزوجة والده متوترة، و ده أثر على حالته النفسية جداً.

-يعني مرات ابوه سبب لغاية دلوقتي في حالته النفسية دي بالرغم مِن موتها؟

حاول رامي الحفاظ على هدوئه، لكنه بدأ يشعر بضغط الأسئلة:

-مدام نرمين ماتت أيوة، بس شريف لسة متأثر بالفترة السيئة اللي عاشها بسببها قبل كدة.

شعر حسام بشيءٍ غير منطقي، و تيقَّن أن رامي يعرف أكثر مما يقول.

أبطأ حسام مِن سرعة السيارة حتى توقفت، فقد بدا أنهم وصلوا إلى وِجْهَتِهِم... نزل حسام وتَوَجَّه نحو مكانٍ مكتوب عليه "مدافن عائلة العناني..."

اقترب ببطءٍ وجلس أمام قبر "نرمين كمال العناني"... وبعد أن دعا لها، بدأ يتحدث قائلاً:

- ما رضيتش أزورك إلا لما أجيب حق ابننا.

تمت بحمد الله

فهرس الرواية